بشرى الفاضل

سيمفونية الجراد

رواية

سيمفونية الجراد
المؤلف : بشرى الفاضل

الغلاف : الفاتح الحاج

الطبعة الأولى : نوفمبر 2018
رقم الإيداع : 2018/20399
الترقيم الدولي : 978-977-769-242-7

جميع حقوق الطبع محفوظه
الناشر: أوراق للنشر والتوزيع
awraaq@live.com
القاهرة – 4 شارع محمد مظلوم -
من صبري أبوعلم - عمارة
أنور وجدي - الدور الثاني - مكتب 25
م : 01010490247
ت : 0223963002 (+2)

إهداء

إلى الشعب السوداني الذي لا يزال في شتاته وحيرته، لكنه يثابر في البحث عن تكتّل وبوصلة؛ وهو يقينًا ومن كل بدٍّ، سيخرج عن طريقهما من غائلة التيه.

مقدمات

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)

قرآن كريم، من سورة الأنعام

لدى غوتة فكرة شهيرة تقول (سيكون اكتشاف النبات الأصلي أو الأولي الذي تفرعت عنه النباتات كافة، أكثر شيء مدهش في العالم، وستحسدني الطبيعة نفسها على هذا الاكتشاف. فبمقدرة المرء، عندئذ، أن ينتج عددًا غير محدود من النباتات المتجانسة؛ وهي نباتات يمكن أن توجد رغم أنها غير موجودة. فهي ليست فنية أو ظلالا شعرية أو تخيلات لأن لها حقيقة وضرورة داخليتين. وسينطبق نفس القانون على كل شيء حي).

من كتاب مورفولوجيا الحكاية الخرافية لفلاديمير بروب.
ترجمة الدكتور أحمد عبدالرحيم نصر والدكتور أبوبكر باقادر

(عزيزي إنها حقًا سيمفونية. تشهد على أصالة مبدعها الذي نجح في خلق عالم موازٍ للعالم الكئيب الذي نعيش فيه. كل التمنيات والحب.)

(صنع الله)

«من رسالة إليكترونية بعث بها الكاتب العربي المصري صنع الله إبراهيم لشخصي بعد أن أرسلت له الفصول الأولى من هذه الرواية»

في البداية ظننت أنني أقرأ **fable** من نوع جديد رائع، ومن ثم ذكرتني جاك لندن وقدرته المذهلة على رؤية العالم بعيون كائن آخر، ولكن هذه تميزت على رؤية جاك لندن بلغة موسيقية رائعة وببناء حقيقة افتراضية **virtual reality** ينتمي إلى عصر فيلم سيد الخواتم **Lord Of The Rings**. إنها حقًا سيمفونية رائعة، ورحلة كرحلة منطق الطير لفريد الدين العطار. وإن كان من المحزن أنها لو ترجمت فسيستحيل أن يحس القارئ الأجنبي بمعجزة الجناس البلاغي العربي فيها. إنها مغامرة نثرية تطاول مغامرة حسن طلب الشعرية. وهي تمتلك ما يكفي من خيوط الإثارة لتشد انتباه القارئ.

قراءاتي في الأشهر الأخيرة غلبت عليها الـ**thrillers** مع ذلك فهذه

المقاطع من سيمفونية الجراد لم تشعرني أبدًا بالملل، فبها عنصر إثارة استكشاف عالم جديد، مجهول. لقد وجدت كولن ويلسون مملا في كتابته عن عالم العناكب، وبالكاد استطعت إكمال الكتاب، لكن سيمفونية الجراد تبشر بكتاب سأنتظر صدوره بتشوق.

(الكاتب السوداني محمد عثمان الحاج)

جريرة:
الرحيل إلى جنة الجراد

خرجت جريرة، وهي جرادة نشطة، في رحلة من رحلاتها الدورية للبحث عن جرير الغائب منذ خمس جردات -والجردة هي سنة الجراد- وعن الخضرة في ديار احطوطبت مشاعرها، وعن سرب لا يجيء. قالت راوية هذه الحكاية، وهي جرادة ذات استطرادات، لراوٍ آخر مساند من (الجن- سان)، إن الكلوروفيل هو موسيقى الجراد، ولذا فنحن لسنا معادين للنباتات البرية، بل نسمعها ونستنشقها، ولا نروي ظمأنا منها إلا بالتهامها ثم تنبت من جديد. لكن الذي يقلقنا أكثر، قالت الجرادة الحكيمة، هو هذه المزروعات الطارئة المخالفة للطبيعة الرحبة، التي يخص بها بنو (الجن- سان) أنفسهم، دون سائر الكائنات. ويخصون من تدجّن من بني جلدتنا من الكائنات بالكلاليق[1] الناشفة، وبالأعلاف المهجنة المفرغة من الحس الموسيقي؛ الشيء الذي يجعل سائر أمعاء الكائنات المستغفلة، عدا الطير الطائر والجراد، تجتر موسيقى النشاز، بدلًا من موسيقى الخضرة الطبيعية الساحرة.

ما فتئ بنو(جن- سان) يجتثون كلوروفيل الغابات، ويقيمون

الحيازات الخاصة بهم، ويبيدوننا حين نسعى للكلوروفيل الصناعي الجديد، حين يعز علينا الكلوروفيل الطبيعي. نحن نواجه حرب إبادة منذ اكتشف الإنسان الزراعة؛ قالت الجرادة الراوية ذات الاستطرادات، ثم عادت لحكاية جريرة بنت الجزيرة.

خرجت جريرة في صيفٍ امتدّ فيه الرماد، من نشاف بلاعيم البشر، إلى انطواء السجلات الخضراء، عن الجداول والقنوات والأنهار والمروج والمهج. كانت جريرة قد عادت في الشتاء الماضي من ديار جنجة. فعاتب، وهو من الجراد العتّاب، كان قد جاءها ذات يوم جذلًا ، وقال لها إنه شاهد جريرًا هناك. سافرت جريرة إلى جنجة، على عجل، ثم عادت من رحلتها بهاء سكت مريرة كالغصة، وباتت شتويًا تنضح بالحسرة.

كانا وجرير لم ينجبا ولا تجريدة واحدة، فجرير سافر، كما قال، كي يأتي بالنال [2]، ولذا لم تعترف أسراب الجراد بحبهما، إذ لا تعترف أسراب الجراد العليا بفاعلية الإسهام في حفظ النوع ضد سلاح المبيدات المحرّم سربيًا، إلا بإنجاب ثلاث تجريدات. خرجت جريرة أملًا في العثور على حبيبها، ومن أجل تقدم السلالة. حب الجرادات صادق دائمًا. في هذه المرة جاء سبب خروجها الجديد، لأن جرّة الجرادة، ذات التحركات المريبة، العائدة للتو من نواحي القصبة، قالت لها إن جريرًا يرتع بين قريناته الجديدات وسط بساتين جارودي، عاصمة الجراد.

تتأفف جريرة، تزفر أحزانها من خلال فمها الصغير، فتقول:

. أوففف

وتلتقط الريح فقاعة الهواء الصغيرة وتدخلها ضمن صغار تابعاتها، من الأصوات الخفية، الساريات معها لبعض الكائنات، فلا يكاد أحد يسمع شيئًا، ولذا يظن الجميع أن ليس للجراد أصوات. كانت جريرة في حالة جوع دائم حد التصاق جنبها الأيسر بالأيمن. وحين خرجت قاصدة جارودي، أفردت دفتها الصغيرة وفتحت فوانيسها المحورية وعدلت من الساري، ثم أسلمت نفسها لتيار الرياح العاتية. طارت بها الريح وطارت جاغة وجاغة فجاغات، والجاغة هي ساعة الجراد وهي (39 ق) بزمن الجنسان. زمن الجراد الداخلي من أسرار الكون.

كانت جريرة تسكن في إنقاية[3] جرداء في (بلاد)[4] تروى بالمطر، في بطن الجزيرة، قرب بلدة واصل نومك. وكل جراد واصل يعرف جريرة بنت الجزيرة، هذه الجرادة المتجردة التعيسة الحسناء.

في أثناء طيرانها نحو جارودي، كانت جريرة ترقب حركة الجراد النطّاط العتّاب، وهو جراد شبه طائر شبه سائر، وتضحك وترمق بفوانيسها الـدوّارة، حالة انحسار موسيقى الجراد من جنبات التُّرَع و(أب عشارين)[5] والجداول والتقانت[6] وسط الحواشات البور. تحلم جريرة ببساتين ملأى بالبازلاء وفول الصويا والسبانخ والعنب والملفوف والمشروم بدلًا عن مكرور أوراق العدس والبصل والفول.

. آه من نكهة حليب الصويا!

تقول خواطر جريرة المكبوتة.

طارت جريرة وطارت ثم طارت وطارت، وشيئًا فشيئًا امتلأت

ذاكرتها بالأشجان، ودماغ الجراد كله ذاكرة. وما لبث أن غنت عذاباتها بشعرٍ آسرٍ:

أوفْ .... تكْ تكمْ.

تكْ تكمْ تـكْ تكْ تكمْ.

طارت جريرة وطارت ثم طارت، وبعد جاغات وجاغات، أصبحت على مشارف جارودي. في البداية دخلت الجرادة التعيسة الحسناء منطقة الريح الأصفر، الذي يفصل الأقاليم القاحلة عن الأقاليم المتجهة نحو الحضارة الخضراء. وطارت طارت ثم طارت وطارت، حتى وصلت إلى زون الريح الأزرق، ففقدت هناك وزنها، وصارت ريشة في مهب الذكريات. طارت بها الريح وطارت ثم طارت وطارت، وفجأة انبثقت أمام جريرة، خضرة موسيقية كالخضرة التي كانت تراها في الأحلام، انبهرت جريرة، وأنبهم حنينها، فحلّقت بالمرح كله فوق مروج خضراء تراها لأول مرة في حياتها. مروج جمعت عصارة الخضرة منذ عيذاب، التي كم أخفت وراءها من شقاء للأسراب، ومن زمن غابات تركاكا العذراء البكر؛ والزمن القديم مما رواه جدودها عن رغد العيش قرب ودسلفاب، حين كانت الغابات تمتد وتمتد ما بين النيلين، قبل أن يجتثها عدو موسيقى الجراد الغاشم. لكن هذه الخضرة الجديدة ربما تدخل في تباعيضها جنيات الجينات. خضرة حاضرة خضراء مخضرة. وفي سرّها ضحكت جريرة، وهي في حبورها العظيم هذا، حين تذكرت النكتة القديمة التي روتها لها أمها، التي زارت منذ عشرات الجردات، نرتتي ومرتجلو وقلول بجبل

الجراد العظيم؛ سألت والدة جريرة جراد نرتتي المحظوظ:

ـ صفق اللوز دا كلو هيلكم يا الحبان؟

فأجابها جراد نرتتي الخضراء من غير سوء:

ـ بالحيل

فردت الجرادة الأم:

ـ نان ما تْقرِّضوا!

لجردات وجردات، ظلت الأم تكرر نكتتها لجريرة، حتى ربتها على حب الفكاهة، وفي كل مرة تعودان معًا إلى النكتة بدءًا من آخرها؛

ـ نان ماتْقَرِّضُوا

حلّقت جريرة وحلّقت فرحة، فوق المروج الخضراء. ومن علٍ رأت الجداول الرقراقة والمياه الدفاقة والثمار البراقة. لكن فرحتها لم تستغرق سوى نصف جاغة، وسرعان ما علا خواطرها شجن دفين حين تذكرت شحوب إنقاية واصل نومك. جاغتها بكت هذه البنت الحنينة على أوضاع فصيلها في الجزيرة وعذابات أمها وأبيها وإخوانها وأخواتها وصويحباتها. ومن علٍ لاحت لها أسراب عجيبة من الجراد، بدينة تمشي الهوينا، وأحست جريرة، أن هذا الجراد تكاد تقتله الفاقة. وما إن هبطت أكثر، حتى حل بها الفزع وهمست لنفسها:

ـ هذا الجراد ليس من بني جلدتنا.

كان هناك جراد سمين وجراد سمين وبدين، جراد لاحم وجراد لاحم وشاحم، جراد مكتنز وجراد ينز، جراد وديك وجراد سميك،

جراد منيع وجراد عاتي، جراد فات وجراد فاتي، وأعجب من هذا كله فصائل أخرى من الجراد الأممي، حيث كان هناك الجراد الجامبو والجراد الجائر والجراد الجائز والجراد الحائز والجراد الجراند وغيره من الجراد الذي لا تعرف جريرة له كنهًا.

هبطت جريرة بمدرج مطار جارودي، وكانت دهشة الجراد العجيب لرؤيتها أكبر من دهشتها، فقد كانت جريرة تبدو، على الرغم من حسنها، غبشاء. هنا كفت جريرة عن تذكر النكتة القديمة والتمعت في ذاكرتها الدماغية خاطرة أنها ربما حلت بجنة الجراد. واقتربت جريرة من جموع الجراد أكثر فشاهدت لدهشتها، انشغال الجميع بالتهام نوع من الخضرة الملفوفة المحشوة باللوز. رأت الحشود تتوجه بأسلوب حضاري نحو المنصة، فتقدم لها كواعب الجراد، الخضرة الملفوفة في آنية خضراء مع مناديل من سندس.

دارت جريرة، ثم دارت ودارت حول جموع الجراد المتعجبة. نسيت جرير وما جرى منه، وتذكرت بحزن عميق، أمها وأبيها في جرداء التي قرب واصل. وتملكتها شفقة طاغية وحزن ماله من قرار، لكون أمها لا تعرف شيئًا عن طلعات الاستهلاك الراقية، أما أبوها الزاهد، فكان يسألها دائمًا عن الفرق بين الاستهلاك والهلاك. أمها تقضي سحابة نهارها بين الورتاب والبتاب[7]، تقبع بين مشلعيبها ورواكيبها وكراكيبها[8]، وغاية أمنياتها أن تحظى بصَفَقَة عنكوليب. وفي الخريف يكون صفق العدار راقد هبطرش في الإنقاية قرب واصل نومك، ويغيب القصب مباشرة عقب

موسم الدّرَتْ[9]. أسفت جريرة، بنت الجزيرة التعيسة الحسناء، لكونها لم تعلم من قبل بوجود بساتين كهذه.

غاب بال جريرة في تلافيف ذاكرتها لجاغتين، فبكت بكاءً يفيض بالحنين، وجريرة جرادة ليست قياسية، فهي لا تعرف الأنين. وعندما أفاقت كان الجوع هو سيد موقفها، ودنت في حركة عفوية من أول جرادة عبرت، علّها تحظى منها بطبقٍ مما يتداولون، فتلقّت لطمة مفاجئة صاعقة، مصحوبة بصيحة، ارتجت لها مكبرات الساحة:

ـ اخرجي من هنا أيتها الشحاذة الجرداء القذرة.

انطلقت جريرة إلى أعلى، بالدفع الميكانيكي، بسرعة هائلة، فاقدة للوعي من هذه الضربة الجراند، ثم هوت مثل قذيفة، وارتطمت بروث البقر في أطراف القصبة. وظلت هناك بلا حراك لجاغات وجاغات، وحين أفاقت لم تعد تذكر إلا تلك الصيحة الأخيرة:

. شحاذة قذرة اخرجي!

وفتحت جريرة فمها لتصرخ، لكن هاء السكت كانت قد دهمتها فسكتت.

جرير

باتت جريرة شتويًا، فنحن لا ننام، لكننا نبيت، وشتاؤنا ثمانون جاغة، أي اثنتان وخمسون ساعة بحساب البشر. كانت جريرة في خلوتها مع غصة هاء السكت، حين دهمتها أحلام الجراد. وأحلامنا بخلاف أضغاث البشر، تتحقق بعض جردات أحلامنا كالسيمفونيات، تبدأ بجرادة فريدة تغني صولو، ثم جرادتان في دويتو، ثم ينطلق شجو الكورال السرب، ثم أوركسترا الأسراب الكونية المصفاة الراقية، حيث صيغة منتهى الخضرة. كل جرادة تغني بواحد من الألف من التون، بموسيقى لم يحلم بها موتسارت. وما يلبث الحلم الحقيقي أن يدخل في غرضه، ثم يبدأ الانسحاب التدريجي في الحلم من الخضرة المتناهية إلى (الخضرة – أي كلام) البشرية، إلى الأزرق البرزخ، فالصفرة ثم الصحو باللون الذي يكيل به البشر دائمًا، حماد.

رأت جريرة أولًا جريرًا يخاطبها مغمغمًا. هو يتكلم ببطء شديد، وهي لا تكاد تفهم شيئًا؛ بدا لها جرير غريبًا في الحلم، حتى إنها كادت تبكي، وفتحت فمها لكي يبدأ النشيج، لكن هاء السكت دهمتها فجأة. جريرة

لم تسكت هذه المرة، بل ملأت بالتحدي جوفها، واستغرقت في ضحك كتوم حين أدركت أن هذا يتم أثناء الحلم. ضحكت جريرة، في سرّها، وضحكت ثم ضحكت وضحكت، حتى قادها شلال الضحك إلى صحوة مفاجئة، لا تشبه تلك الصحوات البشرية غير البريئة. ثم تذكرت أنها جائعة حد التصاق جنبي بطنها الرشيقة. ذلك ثم ما لبث أن سمعت حركة تدب بالقرب منها، فالتفتت لترى عتابةً نشطة. كانت من قبيلة الجبورة. طارت جريرة نحوها كالسائرة، دون أن تفرد جناحيها، كأنها طائر متردد لم يتخذ قرارًا بعد بالطيران ولا بالسير. طارت سائرةً نحو العتابة لتسأل:

– قولي لي يا شابة ألا توجد دوحة بالناحية؟

هزت العتابة رأسها بالنفي لكنها قالت مستدركة:

ـ لا، اللهم إلا طندبة التطبيب.

ونظرت الجبورة إلى بطن جريرة الملتصقة ففزعت، ثم تب تب، عتبت قافزة نحو النهر، وبعد ربع جاغة، عادت تنوء بأحمالها من الجرجير، وألقت به أمام جريرة. طارت جريرة من الفرحة، ثم جرّت إليها جرجيرة وجرجيرة وجرجيرتين وعشر، حتى استردّت عافية سنين، ورمقت الجبورة بامتنان وقالت مداعبة:

ـ هل اسم قبيلتكم جبورة أم قبورة؟

فردّت العتابة الكريمة:

. جبورة، والغريبة جراد الشمال يسمينا قبورة، فهل هذا مهم؟

ومدت جريرة يدها وقالت بمودة:

ـ جريرة

وسرعان ما تلقت ردًا:

ـ عتبة.

فهتفت بفرح:

. يا ألف مرحب.

وهكذا تعارفتا خلال شائق الابتسام.

بين العتاب والجراد علاقة تاريخية ورفقة ممتدة الجذور. يقول مؤرخو الأسراب، المنحازون للجراد، إن العتاب كان جرادًا في طور التكوين، لكن يبدو كما لو أنه انتقصت منه حركة واحدة، فلم تكتمل صورته، إن كان الطيران يعني الكمال. ولذا يتحرك العتاب مثل حركة الممثلين من أيام شارلي شابلن. ويسخر فلاسفة الجراد العتّاب من ارتباط الكمال بالطيران، ويستدلون بالبشر الذي لا يطير إلا مستعينًا بالحديد الهدار، الذي يدمر الأكوان سعيًا وراء محاكاة الجراد. الرفقة بين العتاب والجراد أكثر من حميمة. العتّاب يخدم الجراد بأفضل مما تخدم البشر الكلاب. البشر يستغلون الكلاب، لكن الجراد يرد على خدمة العتّاب في المسائل الإستراتيجية، كالتنبيه من خطر القنبلة المبيدة، أو شباك أكلة الجراد من الإنس المتوحشين والوحوش وغير ذلك، وبما أن التاريخ الحميم مكتوب في جيناتنا، فلا اتفاقيات ولا شروط، كل يؤدي دوره في خدمة المجموع. ولولا تدخل البشر، لما حصل مثل هذا الانفلات الجديد في عالم الجراد،

فهنالك فصائل جرادية، قطنت مؤخرًا جوار حي بني طفيل البشري، تشربت أفكار أولئك البشر الوحوش، وهذه الفصائل الجرادية الجديدة أصبحت تحكم الآن سائر أسراب الجراد بالحيلة أو الزندية. المشكلة أن بقاء جريرة قرب إنقاية واصل نومك، جعلها جرادة ساذجة مسكينة، فهي لا تعلم ما حل بحبيبها جرير، لكن يبدو أنها، ولحسن الحظ، وقعت في طريق فيه مخرج لها من أزماتها، فهذه العتابة عتبة لها معارف من الجراد المثقف أمثال الشاعر جرداق وجابودي وجراري وجارد الحازم وغيرهم.

أكلت جريرة الجرجير بمتعة كأنه موليتة* خريفية من واصل نومك. ولمعت في خاطرها، أثناء الازدراد، صورة ريحانة آسرة العطر فتذكرت أيام مجدهما الغابر، هي وجرير، قبل شتات القنبلة المبيدة الأخير، التي ذهبت بريح كتلة سربهم الأخاذ الملون قبل جردات طويلة سابقة لنكوص جريرة وعشيرتها، ولجوئهم الأخير للجرداء قرب واصل ببطن الجزيرة. تذكرت جريرة كل ذلك في جانيات معدودات ثم طفقت تغني باللوعة كلها وانطلق الحنين.

ـ تكْ تكمْ. تكتكْ تكمْ. تكْ تكمْ. تكا تكْ تكمْ.

ثم أفردت جناحيها ودارت راقصة في فضاء القصبة وجارودي رغم غموض الأحداث. وشاق عتبة رقص جريرة البديع، وأخذتها حركتها الرشيقة هناك في الأعالي، فأيقنت أن ضيفتها عاشقة؛ وسألتها وجريرة ما زالت تدور في بداية التسخين:

. إلى أين ونحن لم نتعارف بما فيه الكفاية؟

ومن علٍ سمعت صوت الراقصة العاشقة يقول:

. هو مشوار ضروري. سأعود ونفتح المغاليق. شكرًا لحزمة الوجبة الدسمة.

وردت عليها عتبة:

. طيب، تجدينني هناك، وأشارت لأكمة، عند طندبة التطبيب، هذا الحي اسمه جرورة. تذكري.

لكن جريرة كانت قد طارت ولمع في مفاعل التسريع الدماغي لديها، خاطرة خافتة من البعيد البعيد عن مذاق حُسُوّة[10] بشرية تذوقتها صدفة وثملت بها. وفي سرها قالت هذه الجرادة الحريرية الشاعرة العاشقة:

ـ آه وآه ثم آه من غموض الأكوان.

ولو كانت جريرة نشأت في صحبة بعض شباب وشابات حي جرورة المتفتح، لآمنت بالـ(ري انكارنيشن) وهذا أيضًا من أسرار الكون.

طارت جريرة وطارت طارت وحلّقت فوق سماء القصبة، وهالها الحجم الهائل للحجارة والحركة شبه الجرادية للحديد الهدار، الأرضي بأكثر من الجوي، وللبشر غادين رائحين. كان الوقت أول الليل. دارت جريرة دورة كاملة حول المدينة متجهة نحو جارودي. وأعجبها من علٍ السيف المجوهر بالنجوم [11]، ولأنها مبرمجة بحب جرير وحده، فما كان في خلدها سوى الانطلاقة من جديد نحو بستان الخضرة الرهيب. طارت جريرة، لكنها فقدت بوصلتها إليه، فرأت أنه من الأفضل المجيء من جديد من ناحية الجزيرة، وهكذا طارت، فوق صوتيًا، إلى هناك. وبعد

جانيتين أو ثلاث لمحت جرادة أخرى تطير مسرعة، رغم وزنها الزائد. كانت تبدو مع الضوء الخافت مثل خيارية. شيئًا فشيئًا اقتربت جريرة من الجسم الجرادي، فتعرفت من خلال ابتسامتها، على جرة بنت ناحيتها في الإنقاية الجرداء. جريرة لا تقاطع جرة، كما يفعل الكثيرون في واصل. فقط تعتقد أن جرة أخطأت التقدير، مثل الكثيرين، بعد الهجوم النووي الأخير. وخلال تبادل النظرات، صاحت جرة كالمندهشة:

ـ هاي جريرة. لسة ما وصلتي؟

تعجب جريرة الشاعرة من لغة الشابات الطالعات. متقنة في بيان أغراضها لكنها «شالو» وغير شاعرية. تتيقن جريرة أنها لغة ليست جينوين. ردت جريرة كما لو أن الأمر فزورة:

ـ وصلت ولم أصل. لم أقابل جريرًا بعد.

وغمغمت جرة في سرها: ماذا لو حكيت لها عن تحرشات جرير بي أول ما وصلت للبستان؟ لكن جرة عدلت عن فكرتها وقالت من تحت فمها متأوهة:

ـ أوه شابكانا جرير.. جرير.

ثم توكلت وقالت:

. سأكلمك الآن بصدق. جرير يرافق ثلاثًا في غيابك عن بستان النعيم.

فاجأت جريرة كلمة الغياب الواردة هنا وردت مستنكرة:

ـ ها.

زفرت جريرة رفضها للخبر، ثم ما لبث أن ملأ الغضب جوفها العامر بالمحبة، وانقطع الحديث بينهما فطارت صامتة، لا تدري ما تفعله تجاه تصريحات هذه الجريدة الحاقدة. لكن جرة واصلت حديثها فقالت:

. أعلم أن الجميع يعتقد أنني منزلقة. لكن هيلاه وهيلاه ما انزلقت في أي مطب، ولم أورد خبرًا واحدًا عن جراد الجزيرة لأتباع جبادة. أنا أجيء لهذه الجنة لأن العيشة فيها سهلة، وما خصاني كان الرجال بيجوا عشان حورها أو ما يجوا، ما خصاني.

وأضافت جرة تقول بصوت عالٍ، فيه الكثير من الحنق:

. وتعالي ياجريرة النسألك، واصل ديك شن فيها غير السجم؟

استمرت جرة تثرثر وتثرثر ناسجة خيوط مرافعتها أمام قضاة سرب جراد وهمي، لكن جريرة كانت، في شبه غيبوبة تطير، لأن هناك هواء رحيمًا يدفع بها آليًا مثل طائرة معطوبة. وفي سرّها قالت جريرة:

. هيلاه. يا جرير.. جرير هل ترى ما تقوله هذه الجرة، وهل ما رأيته في الحلم صحيح؟ أين أنت الآن يا حبي. يا جرجاري في عالم مليء بالأسمال. يا حصن الأوزان والقوافي والحلم بسربنا الأبدي.

صدحت جريرة بذلك، ثم دهمتها سِنة من نعاس حتى كادت أن تهوي، فالهواء الشفوق يدفعها نعم، لكن من شروطه الوعي. وصاحت جرة مرة أخرى من أمامها:

. اسمعي يا جريرة، أنا أتفهم أنك لا تصدقينني. لكن سأستعين بذكائك الذي يتحدث عنه الجميع في واصل، وقدراتك التي أثنى عليها

المعلم أبو الحصين كثيرًا، لأشرح لك ما جرى، فبعد أقل من نصف جاغة سنصل إلى البستان، وستتحققين بنفسك من صحة ما أقول. البستان يحكمه جبادة، وكما تعلمين فهو يحكم سائر الجراد من جابودي إلى كل النواحي والإنقايات. جبادة يحكم حتى مناطق لم يرها ولم يسمع بها.

سكتت جرة، ثم واصلت إزاء صمت جريرة الذي كان يوحي بأنها تصغي:

ـ مش تقولي واصل القريبة دي. جبادة يحكم الجراد من قرب جامينا وجراد جنينة وجبل الجراد وجراد جابرة وجوبا والجبيلية وجبيت وجيلي وجبل أم علي وجابرية والجراد من قرية جرادة الرائعة التي لا يأكل أهلها الجراد إلى عند جبلاية الجقر وجراد جـنيفا نفسها... و...

وهنا قاطعتها جريرة المبرمجة، التي لم تكترث لمبالغات جرة:

ـ هل ما قلته عن جرير صحيح يا جرة؟

فردت جرة:

. هو لم ينسَ عشرتك. يذكرك دائمًا. لكن يبدو أنه مشغول، لقد عينوه حاميًا للصوتيات التي ترسل إشاراتها لسائر الجراد في جابودي وعواملها مما ذكرت. يرافق جرير ثلاث أخريات هن جغمة وجافلة والثالثة نسيت اسمها.

صمتت جرة. وطارت جريرة حانقة موازية لها بالدفع الآلي، حائرة، فلا تسمع من طيرانهما إلا خفق الأجنحة. طارتا وطارتا، وفي كل هذه المدة كانت كلمة واحدة مثبتة في دماغ جريرة شبه المعطل. كانت الكلمة

تقول: . جرير

وبدأ هسيس شعر جريرة الصافي يغني حيرتها نيابة عنها:

تك تكا كم. تك تككم. تك تككم تكاكم تككم.

وشيئًا فشيئًا دخلت الجرادتان في اللون الأصفر، ثم الأزرق وفيه صاحت جرة:

ـ هيلاه

. اقتربنا أخيرًا من النعيم.

ثم لاح البستان الغريب. الخضرة الباسقة. تلك الخضرة التامة التي كادت أن تنسي جريرة برمجتها الجريرية. قالت جريرة، في سرّها، حين أحكي لجرير عن كذب هذه الجرة فما ترى سيصنع بها؟

حلّقت الجرادتان الجزيريتان، وحلّقتا معجبتين، كل واحدة لأهدافها، بالخضرة؛ ونسيت جريرة غصة اللطمة التي تلقتها سابقًا، حين زارت البستان لأول مرة. وطفقت تتخيل ما سيحل بعد جوان، حين يشرق جرير الفتى الوسيم الرشيق رفيق الصبا والشباب. وقادتها جرة لمسكن جرير، وصاحت جرة ما إن اقتربتا من الفيلا:

. جرير. جرير.. انظر.. من ترى قادمة إليك؟

وخرجت جرادة من الفيلا. هي رفيقة جرير اليافعة الأخيرة فيما يبدو. ثم ما لبث أن غامت الدنيا حين خرج فتى جرادي، ضخم الجسد والبنيان، لا تكاد تعرف أوراكه من أوداجه. ولأن جرة تعرفه صاحت به:

ـ يا جرير انظر إلى أعلى. ألا ترى؟ هذه جريرة.

ـ جرير؟

قالت جريرة قافزة هلعة. وعاودت النظر تحتها نحو جرير، فأرعبها ترهّله وتخمته غير المتناسقة، مثل حُكّام الجراد الريفيين. ولم تجد فيه غير كائن يشبه الجرذ.

وصاح جرير بلا انفعال:

. أهلًا جريرة. كنت سأعود، قبل جردتين، وأحكي لك بالتفصيل سر غيابي، ولكن ع أت كم ته ت.

تلعثم جرير.

وما كان لائقًا من الجرادة اليافعة، أن تضع جناحها فوق كتف جرير المترهل، لكي تؤكد حيازتها له. كانت تلك حركة زائدة منها، فهي لا تعرف جريرة. أما جريرة فقد أجرت عملية حاسوبية كونية في جوانٍ، فأدركت كل شيء. وتيقنت أن جريرها إنما أصبح في الذاكرة، وقد ذهبت به السنون الغوابر. أما هذا الذي أمامها فهو ليس إلا كتلة لحم توجهت نحو الخضرة المعدّلة وراثيًا، ترتع فيها وترتع، كأن ليس هناك معذبون في واصل نومك وضواحيها، التي هي ضواحي الضواحي. ترتع كتل اللحم القميئة هنا كلها، ولا شك وتأكل مما يزرع الجراد العتّاب دون حساب. أقبل جرير نحوها رافعًا قوادمه وهو يقول، بصوت خال من التعبير:

ـ أهلا

ومدّ يده في تراخٍ، لكنه فوجئ بصرخة جريرة الموجوعة الداوية:

ـ شيييل إيدك يا جرذ!

ذلك، ثم دارت جريرة دورة سريعة، فارتفعت فوق أحزانها وفجيعتها إلى أعلى، مثل عامودية بشرية، وحلّقت معها غضبتها، فلم تسمع رجاءات جرة التوفيقية المتوسلة. غابت الخضرة في سيكلوجيا الغضب، وهكذا حين نظرت جريرة خلفها بغضب، أبصرت البستان وكأنه حقل من النيران، ونبست لها نفسها فقالت:

ـ يا لها من جنة جهنمية.

ذلك ثم طارت جريرة، وطارت طارت وطارت إلى أن لاحت لها شجرة دليب، وهناك حطّت أحزانها، وتأوهت علها ترتاح، وكان يلفها طنين الكون. كان الوقت ليلًا لا زال، غابت عنه جمرة الجراد القمراء، فاشتبكت ظلمته بالظلمة التي حلت بروحها، وحلت بحلّقها غصة فظنت أنها ستبكي لأول مرة في حياتها، فجريرة لا تعرف الأنين، لكن تلك الغصة كانت هاء السكت التي حلت بها، وهي بين براثن الفاجعة، فسكتت.

جرداق

فتحت جريرة فوانيسها المحورية، لتضيء الظلمة من حولها. ظلمة العالم وظلمة روحها. لم تكن تعرف في أي جاغة هي، وكم باتت مع غصة هاء السكت في جوف هذه الدليبة، لكنها أحست بأنها اختصرت شتاءها، ولم تكن تدري أن ذلك تم بالفعل ولأربعين جاغة. لم تكن تهتم بنداء البطن، وعندما استعادت وعيها شيئًا فشيئًا، استبد بها إحباط ماله من قرار. فبعد كل هذه الجردات الجريرية، وكل ذلك الرهق وعناء البحث المطّرد شرقًا وجنوبًا، ها هو الجبل يتمخض فيلد جرذًا بدينًا، تسبق بدانته القبيحة حركة شفتيه. فقدت جريرة بوصلتها الفكرية، وأوشكت على البكاء لكن صوتها لم يساعدها، فأفردت أشرعتها واستعدت لما تفعله الرياح. قالت أطير أنّى توجهني اللحظة، كانت قد مكثت ستًا وعشرين ساعة بحساب البشر، وهكذا عندما شرعت في الطيران كاد الخيط الأبيض أن يبين لفوانيسها. طارت إلى أعلى بقوتها كلها، لكن جسمها خذلها وهي في ارتفاعها الشاهق الذي بلغته دون هدف. انهارت قواها فجأةً، فأقبلت نحو الأرض كغواصة تخلت عنها تقانتها، وهي في لجة المحيط، فأقبلت

نحو الأعماق لا تلوي على شيء. وعندما أوشكت جريرة على الارتطام وسماع صوتها الآخر على المنحدر، تذكرت أمها وأبيها في الجرداء قرب واصل نومك، فاندفعت فجأة إلى أعلى، مثل طائرة تتفادى مطبًا جويًا، ثم تذكرت أخواتها وأخاها الغائب وأصحابها من التجريدتين، الذين ذهبوا في الشتات العظيم. ومع أن خواءها الروحي كان عظيمًا ، وكانت العناصر الهدامة لديها تعمل بأقصى طاقاتها، إذ كانت تحفزها وتقول لها:

. نعم هيا يا جريرة .. هيا ارتطمي فما فائدة الحياة،

إلا أن نداءً غامضًا كان يقول لجناحيها:

. لا بل اخفقي رفرفي يا أشرعة ..أب..أب..أب

استجابت جريرة للنداء الأخير، بفعل الحنين، وإرادة البقاء، وهكذا دبت الحياة من جديد مع انبلاج الفجر في جسد جريرة. وفي سرّها قالت:

. لا كمال. ففي كل جنة حب، هنالك دائمًا لهيب من جهنم.

تأملت في عباراتها السابقة، وأدركت أنها كانت قد سمعت ذلك الكلام عندما انفرط عقد سربهم إثر القنبلة الهائلة، ففقدت جل أحبابها، دفعة واحدة، وأولهم كان جرير. كانت الحكمة وقتها يتناقلها السرب في كتلته المدهشة، في مسراها العظيم. كل جرادة تعلم جرادة، وتنقل لها المعلومات الحيوية دون منة، ذلك حين كان السرب ينقل أسراره لأفراده كفاحًا دون وسيط.

وقالت لها أمها في الخيال:

ـ قم يا طرير الجراد

حين التمعت خاطرة عن تلك الأم العظيمة، ضحكت جريرة وضحكت وضحكت من المحبة، حتى كادت أن تنسى كارثة الجرذ التي حلت بحياتها. وهكذا استعادت جريرة متعة التحليق، وهي ملاحة ماهرة لا تطير في الأجواء، بل ترقص الباليه الجرادي الشيق، في حركات تكاد، من براعتها، أن تطبع نفسها في الهواء النفاث ورائها، وحتى في النسيم. طارت جريرة أولًا كعامودية

..أب..أب..أب

حتى لامست السحاب، ومن بعد انهمرت نحو الأرض، مستخدمةً رادارها الخاص، نحو الطندبة الغريبة التي وصفتها لها عتبة. تلك الجرادة الكريمة.

وعندما اقتربت الموجوعة من الطندبة، حلّقت بإيقاع بطيء، كأنها طائرة تستكشف مدرجًا للهبوط الاضطراري. ومن أسفل أبصرتها عتبة، فشهقت لأصحابها:

. يالها من راقصة موهوبة!

ثم أردفت:

. انظر يا جرداق لهذا الإيقاع الجديد.

وحدقت فوانيس دوارة كثيرة نحو جريرة، التي صارت ترقص فوقهم مباشرةً. كانت جريرة ترقص لأنها مذبوحة من الألم، بينما هم يمتدحون سيرها الجوي البديع، ويبتسمون. كان مع عتبة، في الأسفل، جراري وجرداق وجابودي. الأصدقاء الثلاثة منذ جردات وجردات،

كانوا يتخذون من أيكة التطبيب مجلسًا فلسفيًا لهم، كأنهم تلاميذ سقراط. يغيب عن مجلسهم جارد الحازم، ذلك الفتى الشيخ الذي يطلق عليه جرداق لقب حاسوب الجراد.

صاحت عتبة في جريرة لكي تهبط في المدرج الخالي في هذا الصباح الباكر، لكن جريرة كانت مشغولة بأمرين، أن تتخلص أولًا من تبعات جرير، فالجراد ما قبل الحداثة عندما يعشق، كان يختار اسمًا مشتركًا. في حقيقة الأمر، لا يختار العشاق تلك الأسماء، بل يتم ذلك بواسطة الكبار. أما شاغل جريرة الثاني، فكان البحث عن منطقة ليس بها فضوليون، عسى أن تخلع قميص حُبها لجرير، الذي أصبح يضيّق الخناق على ما عندها من جسد نحيل. قالت جريرة لنفسها، لكن بصوتٍ عالٍ:

. لا بد من أن أخلع قميص الثعبان هذا حتى أشم هواء الحياة.

ولعل هذا هو السبب من وراء تحليقها الطويل. كانت جريرة قد قررت أن تبصق ذكرى جرير، ثم تهبط بمدرج الطندبة دون اسم ودون حب ودون ذكرى. كانت فكرتها من كل بد طائشة، إذ ليس من الممكن أن تتم الأمور بهذه السرعة. وصاحت فيها عتبة:

. اهبطي يا جريرة

. جريرة؟

تساءل جرداق الذي لمح وجه جريرة في عليائها، فراقه شكله الوسيم. وردّت عتبة:

. أيوه.. جاءت من جارودي. ذهبت ناحية البستان للبحث عن

حبيبها.

. آآ؟

صاح كل من جرداق وجراري وجابودي، في آن، بتنغيم واحد ودهشة واحدة، حتى إن الصدى الذي بثه الهواء وصل إلى أسماع جريرة، التي كانت قد أتمت شوطًا سريعًا، على المدرج ثم عادت، عن طريق اليوـــ تيرن، إلى حيث هؤلاء الجالسين الغرباء عليها، عدا عتبة قدام طندبة التطبيب، مجلس الفلاسفة. رمقتهم جريرة بنظرة خاطفة ثم قالت بمرح:

. دبايوا [12]

فردت عتبة

ـ سنو لاهيا.

وكررها الجميع من خلال الابتسامات الترحيبية.

الجراد يمرح بتحيته لبعضه البعض، فلا صرامة ولا قوانين أنت تحيي بأي لغة. فجرة مثلًا، كانت قد قالت لجريرة (هاي) عندما صادفتها في الجو قبل يومين، لكن جريرة كانت قد انشغلت عنها ببرمجتها الجريرية. لو فطنت لها لقالت لها (مسكاقمي) في تحية أخرى، من تحيات لغات أهل الجودان. جاءت جريرة صامتة بعد التحية المرحة، فأحرزت عتبة أن في الأمر شيئًا ولم تسألها. وقامت بتعريف الجميع ببعضهم البعض. اندهشت جريرة لسماعها هذه الأسماء الفانتازية. وقال جرداق، وقد أعجبه محيا جريرة، لكن أخذته الشفقة على إعيائها:

. لعلك متعبة. اتكئي على ثمرة الجميزة هناك على بال ما أجيب ليك

صفقة لوز تاكليها.

من الواضح أن جرداق كان يمزح، لكن على ذكر صفقة اللوز، ارتعبت جريرة، وتذكرت الصفعة أول ما وصلت إلى البستان؛ وقالت عتبة:

ـ الشباب أصبحوا على علم بسفرتك للبستان.

وقال جابودي بجدية:

ـ اسمعي يا غريبة، عليك أن تحتفلي بنجاتك من كارثة كانت ستحلبك، وأن تزورين ذلك البستان. ألم تسمعي بما ظل يجري فيه طوال هذه السنين؟ ما هذا البيات السياسى؟ هل ذهبت إلى هناك من أجل جرير حقًا، أم لتعلفي؟

كان قاسيًا مع الضيفة. أما جرداق فخفف من الحدة قائلًا :

. تعلمين يا شابة، ذلك البستان الأخضر هو فقط كما يقول المفتي الحضاري، روضة من رياض الجنة للترويح عن جبادة وأعوانه، وهو ممنوع عن الجراد الأغبش، من أمثالنا، حذر الخوف من الإطاحة بالحكم، كما يوجد به الثقب الأسود. وتساءلت جريرة:

. الأسود؟

ثم أردفت:

. برية ما سمعت بيه.

قال جراري:

. بالحيل ذا بلاك هول الرهيب.

وقال جرداق:

. كم من ضحايا من الجراد، ذهبوا لزيارة البستان واختفوا في الثقب الأسود، ولا نعرف إن كانوا قتلى أم أحياء.

وأضاف جارودي:

. لجة الثقب الأسود ما لها من قرار، تحوم بداخلها كائنات شبحية مرعبة؛ يقال إنها تنتمي للجراد العالمي الجامبو، وقد جاء بها جبادة لتخويف الجراد المشاكس.

شهقت جريرة هلعة، فقد شاهدت الجامبو في البستان.

وقال لها جرداق متسائلًا:

. من الواضح أنهم كانوا متسامحين تجاهك. هذه هي طبيعة الجراد الدموي. دائمًا تجدينه متقلب المزاج. هل سألوك عما جاء بك إلى هناك؟

فقالت جريرة:

. لا، في المرة الأولى تلقيت لطمة كأنها من شاكوش، أما في الثانية، فكنت أنا سيدة الموقف.

وقال لها جرداق:

. لا تكوني ساذجة، فلا أحد غيرهم هناك يتسيّد الموقف. هم كانوا على علم بقدومك، من كل بد.

ولمع في دماغ جريرة خاطر من الشكوك، من جديد حول جرة.

وقالت عتبة:

. اختفى ربع سربكم هناك، أما الربع الآخر فذهبت به الدياسبورا.

قال جرداق:

. بهذه الإحصائية لن يستقيم الحساب. لكن السرب هلك أو تبدد وعلينا تنظيمه من جديد، حتى يعود مثل زهر الغابات في كثرته وألوانه الفاتنة. السرب قوة، وعندما يصبح الجراد كتلة، ينبثق ضوء الكون.

وقال جابودي:

. هيلاه يا شاعر هيلاه.

قال جراري:

. سنخرج، أنا وجابودي، لنجلب لهذه السيدة شيئًا تأكله.

لكن عتبة اعترضت:

. لا، هذه ضيفتي. وخطت نحو جريرة وقبلتها ثم.. تب .. تب.. تقافزت بمرح نحو الشاطئ، لكن جابودي خرج في إثرها يساعدها كما يساعد في التقريب بين سلالة جراد القبوط والجراد الذي ينتمي هو إليه. مكث جابودي وعتبة بعض الوقت قرب الشاطئ، وهنالك أحس مرة أخرى أن القربى من آل قبوط ممكنة. لا تحبذ عتبة كلمة قبوط رمزًا لسلالتهم، فهي جبورة وفي أسوأ الفروض قبورة، كما يحب أن يطلق عليها البشر الاسم.

سألت عتبة جابودي بكل جرأة، وقد أدركت مراميه الخفية:

. حسنًا هبني وافقت، فماذا ستفعل بعقيدة الجيم؟ أنتم معشر الجراد اللوكست دوغمائيون.

وصاح فيها جابودي ممازحًا:

. لا عاجبنّي إنتو يا قبورة دون سائر الجراس هوبرس. تتقافزون من اسم لاسم، ومن فكرة لفكرة. وعندما أحس جابودي بأن مزحته ثقيلة، أقبل على عتبة يلاطفها قائلًا:

. لك العتبى يا عتبة.

وحين عادا بالجرجير، عاد جابودي بمشاعر جديدة، وكذلك عتبة، رغم غرابة الحالة، ولم يلحظ أحد من الجالسين، في انتظارهما شيئًا، لكن عتبة لاحظت ضوءًا باهرًا في عيني جرداق، ولم تدرك كنهه هي أيضًا. وعندما مرت بقربه ابتسمت فارتبك جرداق. في حقيقة الأمر، أخذه حديث جريرة العذب، واكتشف أنها شاعرة مثله لكنه لم يفلح في استنطاقها بالقصيد. كان منزعجًا لظروف جريرة وفي سرّه حدّث نفسه قائلًا:

. كيف يتسنى لهذا الجسد الفاتن والعقل الشاعر اللماح أن يحط بجرداء خالية من العلم والمعرفة والعافية، بينما لحم البان يأكله التراب؟

قهقه جراري حين أبصر جرداق واجمًا، وحينما بدأت جريرة تأكل سلسلة الجرجيرات جرجيرة فجرجيرة فجرجيرة، وتزم شفتيها إثر كل فاصلة منغمة من الأكل، كان ثلاثتهم ينظرون ويتعجبون كيف استطاعت هذه الفاتنة أن تأكل هكذا، بأرستقراطية، وهي القادمة من إنقاية جرداء يرويها المطر بمزاجه، هي الإنقاية المطرية قرب واصل نومك؟

وفجأة قال جراري:

. تعال يا جرداق نختتم هذه الجلسة لنحتفي بهذه الضيفة العزيزة

بقصيدة الضوء. نعم قرأتها لنا أمس في زنقة جارد الحازم، لكن الجمع كان غفيرًا لم يتح لنا فرصة التأمل.

وقالت عتبة:

. هيلاه عليك. أنا لم أسمعها.

واستجاب جرداق، فسن حنجرته بمبرد الريق العذب، وانطلق يغني شاملًا الضيفة بعنايته القصوى، خلال تنغيمه:

. تكاكم تك. تك تككم. تك تك تككم.

الدهشة ألجمت جريرة. فهي لم تسمع من قبل بمثل هذه الأوزان الجديدة الأخّاذة. مالت من الطرب، وسمعت جرداق يتكتك قصيدته بصوت كأنه طالع من فوق الشجر.

. تكاكم تك. تك تككم. تكاكم تك. تك تكا كم.

وصاح جابودي فرحًا:

. هيلاه يا جرداق.. يا أسراب يا كتلة الجراد. يا جدود جابودي هيلاه.

تحرك الركب وجرداق يصدح بصوت من رحيقٍ صافٍ منقّى، حتى إذا ما أشرفوا على الرجوبة التي هي قبالة حي جرورة، غشيت جريرة غصة هاء السكت، من فرط الطرب، فسكتت.

واندهش الجميع لما حل بجريرة واحتاروا فيه. وبما أنني وإياكم نعلم، فدعوني كجرادة ذات استطرادات، أن أحاول ترجمة ما لا يترجم من شعر الجراد بلغة البشر،

قال جرداق:

. تكاكم تك.

ومعناها:

أيها الضوء أنت جيوش، فنقّل حشودك وافتك بها جنبات الظلام. تنقَل حتى يصبح أعتم ما في الديار الشفق. رأيت سيوف أشعتك الليزرية، فاقطع بها شبحًا لا نراه، قابعًا في ذراه. شعاعك يا ضوء، علّمنا الحسم يمشي سريعًا من الشمس للعين. فقم. ما سمعنا بضوءٍ تمشَى فتاه. وهذا الظلام طعامك فالتهم الآن هذي الدجنّة، وفي الصبح يقتات فجرك من كتلة مدلهمة. طعامك يا ضوء هذا الظلام. وشربك منه المدام. فقم وارفع النخب ثم انبثق. وكل مكان تبيت به ناره تأتلق. فيا ضوء يا ضوء أنت حذق. ونهرك يدلق منه الجمال بدنيا الجراد، فألوانها طاويات الغسق. وثق. بأنك أسرع منا جميعًا. فقم وانطلق. لينفتح الحسن غب الأفق. يغني الجراد فيشجي الجماد ويصبح أظلم ما في الوجود الشفق.

استدعت كلمات جرداق هذه الوقفة لما بين ذكاء الكائنات.

جريرة وجرداق:

. غناء الحب الجديد

حين يلتقي شاعران حقًا - هو وهي- ليس بينهما شيء من غيرة المتشاعرين، فإن الحب الصافي يكون هو الانفعال الأولي، غير المعلن عنه، إذ إن التلاقي يكون بين نهرين من العذوبة والجمال. هكذا التقت صحاري جريرة وحريرها بجواهر جرداق ودهاليزه المترعة بالشعر والجرادوية. لا يهم أن تكون الجرادة الشاعرة على ارتباط بغير الشاعر، ولا الشاعر

يرنو لأخرى. فالحديث هنا يجري عن مقرن نهرين شاعرين، أحدهما قد يكون دفق مائة الأكثر عنفوانًا وفتوة، والآخر الأكثر عذوبة ورزانة. إذا التقى شاعر بشاعرة وكانا مبدعين بحق وحقيق، فإن الشعر لا ينسكب وحده من وجدانيهما، وإنما ينسكب معه، من روحيهما، عصير الحب، مهما تلاطمت أمواجه مع أحباب أخرى. وهذا ما حدث لجريرة وجرير.

ففي أصيل اليوم التالي، حلّقا معًا فوق النهر دون كلمة، كانت دواخل جرداق تقول:

. تك وكا كم تك وكا كم وكا كم وكاكم

وكانت دواخل جريرة تقول:

. تكاكينا تكاكينا .. تكا كم تك

وعلى الرغم من فرحتها باكتشاف أوزان جديدة لشعرها، إلا أنها لم تكن تعلم أن جرداق قد توغل في بحور الشعر العصية بعيدًا، وأوشك أن يصل إلى جزيرة ربة الشعر نفسها. وحين أطل القمر، شع معه نور وجهين جراديين فوق النهر، وأحس جرداق أنه مفعم بالكلام والهيام. وأحست جريرة أنها مليئة بالأجراس الخافتة التي ينبعث صدى صوتها داخل الدماغ فحسب.

قال جرداق، إن البستان حكر لعدد نهائي من الجراد المتنمر الذي ينعم بما لا تتصورين من الخضرة. هل سمعت بالخضرة المستوردة، السيوبر، المعدلة وراثيًا، التي تنبعث منها أنغام في حالة المضغ؟

تذكرت جريدة مقرشة الورتاب الناشف في واصل نومك، وردت

بعامية أصيلة:

. يطرشني.

قال جرداق، هم بضع عشرات من الغرانيق العلى، يتناولون منتجات من ماركات جراديلكا وجراكنتوش وجريب جروبي وخلطة الجنجة وغيرها.

وقالت جريرة:

. نعم، رأيت الخضرة المغلفة بالسلوفان، حيث يقف الجراد في صفوف بالبستان ليأخذ كل منهم حصته.

فرد جرداق:

. هؤلاء ليسوا من الغرانيق، هم بضعة آلاف من جراد الحراسة والأمن، نحن لا نحلم بالخضرة التي تمنح لهم. وهم لا يحلمون بالخضرة المتداولة في فيلات مراجعهم العليا مصدر مواجعنا.

طربت جريرة لسجعة جرداق الملخصة، واقتربت أكثر منه بجسدها ووجدانها، فذهلت حين رأت أن فانوسيه الدوارين شبه مغمضين. كان منتشيًا برفقتها. قالت جريرة:

. خضرة كهذه خير منها العرس.

ضحك جرير للعبارة، فرغم شيوعها، لم يكن يتوقع صدورها من جريرة في هذا الظرف. ودنا هو أيضًا من جريرة فاشتم عبيرها، وقال في سرّه، إن عطرًا كهذا سيقتلني ذات يوم. وفي غمرة فرحه باللقاء الجديد، تسلق الاستمخاخ إلى دماغه، وهو متعة المخ والاستغراق في هذه المتعة

بما يشل الجسد، طالما أن المخ مشغول بلذاذاته. وأحست جريرة باقتراب جرداق منها فجفلت، ثم علت فوقه ورقصت، رقصت التابي المصحوبة بالفرح، أما جرداق فانشغل بإيقاع جديد:

. تكم وكا كم تكم وكا كم واكا كم وككم.

فهوت جريدة من عليائها نحو مصب الكلام.

جرداق وجريرة:
العودة إلى واصل

كان القمر مسرورًا لرؤية شاعرين، من ذكر وأنثى، في سريان موسيقي. لذا أذاب من فضته في اكتماله البديع، في تبر الثنائي الجديد، جرداق وجريرة، وهما يسبحان في فضاء الجزيرة، بعد جاغات من خروجهما في السفر إلى واصل، في هذه الليلة القمراء، صافية القمر. كنتَ لا تسمع إلا خفق أجنحتهما في تناغم شدّ من أزره الشعر. فهما شاعران أو شاعرتان، لا يفرق هذا مع جرداقولا، مع جريرة، ولا يحسان به. فالجراد لا يفرق بين الجنسين، وحتى تاء الثأنيث جلبها للجراد جالب من لغة ذكورية متنطّعة.

قال جرداق، وقد تملكه جيشان، داخلي ناتج من حب قبل أوانه، يكتمه ويخشى أن يشقق جلده:

. يا جريرة؟ منذ متى وأنتِ تصابين بهذه الإغماءات المفاجئة؟

فردت جريرة:

. هي ليست إغماءات، إذ إن قلبي يظل يقظانًا، لكن صحيح أن دماغي

يصيبه بلاك آوت. يظلم فجأة فلا أدري ماذا أفعل.

ورد جرداق ساخرًا:

. وهل تفكرين بقلبك يا جمرة؟

فردّت جريرة بإشراقة، من خلال الابتسام، وقد سمعت لقبها الجديد:

. لا يا جردقة؛ فهذا القلب الذي أعني، موجود في الدماغ أيضًا.

قال جرداق، وقد تذكر جدل البشر العقيم حول القلب والفؤاد والعقل والدماغ والمخ والروح والمهجة والنفس:

. لا أدري؛ لا أدري يا جمرة روحي، لكن ما يصيبك يبدو أنه مرض عضوي. عندما نعود إلى جرورة سأذهب بك إلى طندبة التطبيب.

قالت جريرة، متسائلة، كأنها تكايده:

. عضوي أم نفسي.

فرد جرداق:

. أظنه عضوي.

سكت الشاعران طويلًا، فلا تسمع إلا خفق الأجنحة، أب أب ثم داون داون في تناغم ينم عن شيء قادم. حلّق جرداق، ثم سبح أمام هدف أشواقه الجديدة، بإيقاع منتظم فَوْ فَوْ فَوْ ثم بدأ الإرزام فالقصيد:

ـ تك تكا كم تك تككم. تك تك كم تككم تككم تكا كم.

وعندما ألقى نظرة، من فانوسيه الدوّارين، على جريرة، وجدها تحلّق في رقصة جديدة عليه، ذات إيقاع كأنها يمامة، ويحس من يراها بوقع أجنحتها غير المسموع، والداوي مع ذلك، في الهواء دو دو دو داو.

طافا هو يرزم، وهي ترقص، ثم انطلقا ستريت فـوروورد، تجاه واصل، متخذين من الشعر نسبية جرادية جديدة، للتوسط بين الزمن والمسافة. قال جرداق:

. تكا كيكم تكا كم تك

فردت جريرة:

. تكالم تك تكالمنا

كانت الجزيرة تحتهما، أشبه بقصيدة تُلمّع مياه التُّرع، وتبرق فوقها اليراعات، وتعكس الجداول وأبوعشارين والتقانت والسراب المروية جميعًا، فضتها المجلوبة من مصادر شتى. أولها، وقبل ضوء القمر، هذا الحب، وهذا الشعر. كان الجو محايدًا، مع ميل خفيف نحو البرودة، زاد من الشعور بها، لدى الشاعرين جريرة وجرداق، المشاعر الجديدة النابتة بقلبيهما، كالنباتات البرية. قال جرداق في سره:

. المشاعر الجديدة النابتة هي أصلًا في الكائنات من أجل تطور الشعر.

وقالت جريرة في سرها:

. هل تُرى البشر يعرفون شيئًا اسمه الحب!

وأردفت كالمتأكدة تقول:

. لا أظن، في ظل هذه القنابل المبيدة للأسراب.

سبحا تجاه واصل نومك كما لو أن مسارهما خيط. كانا قد أقلعا من حي جرورة، بعد الندوة التي تحدث فيها جارد الحازم، حضرها معهم شباب، لا حصر له، من بينهم تعرف جريرة فقط جراري وجابودي

وعتبة وجرداق طبعًا. خرجت جريرة من الندوة بلقيات عديدة، وبِهاء السكت التي دهمتها عند الخروج. فقد اتكأت فجاة على كتف جراري، وسط الجمع، والتفت العديدون نحوها، كأنهم يرقبون جسارة هذه الضيفة الغريبة الجميلة، حتى كاد الما عارف يقول عدس.

بعد اليقظة مباشرة، بدأت جريرة تستعد للعودة إلى واصل نومك. أصرّ جرداق على مرافقتها للاطمئنان على صحتها. وطبعًا، لم يخف السبب على جاردوي وجراري وعتبة، فقد شافوه وشافوه من خلال الابتسام المحبب الذي ينم عن محبة صافية.

دارت جريرة، مثل حمامة رشيقة، في الفضاء، دورتين حين تذكرت الحديث المرتب الموزون الدقيق، الذي أتحفهم به جارد الحازم. وقالت تخاطب جرداق:

. يا شاعر، أنتَ جارد دا منو وايه أصله وفصله؟

فرد جرداق:

. بالنسبة لي جارد عالم، لا سياسي ولا مثقف ولا شيء. هو ملم بتاريخ الأسراب منذ أن خرج الجراد من بطن المجرة.

وتساءلت جريرة محتارة:

. وهل خرجنا من بطن المجرة؟

فقال جرداق:

. الظاهر ياجريرة، واصل نومك كانت مبيتاك. فنحن والبشر وكل الموجودات الحية، واوول ذيس ستوف من الكلوروفيل، بما في ذلك

موسيقانا التي انبثقت منه، خرجنا من الثقب الأسود الكبير في مركز المجرة. وفي الحقيقة، خرج الجراد بالبلايين. نحن أسياد المجرة لا البشر.

وغمغمت جريرة متسائلة كالمندهشة:

. أسيادها؟

فخطف جرداق الكلام:

. طبعًا، ألا تلاحظين الاسم مجرة.. جراد.. جر الـ..

. هل تريد أن تقول جر الجراد؟

. لا لا.

رد جرداق، من خلال ضحكة تنم عن سعادته بالرفقة، وواصل:

. الثقب الأسود الكبير الذي هو أكبر من جمرة الجراد، شمس البشر بملايين المرات، هو التفسير الوحيد المعقول لوحدة الوجود. ولو أن الإنسان اقتنع بأن الأرض تسعنا جميعًا، لما اخترع قنبلة المبيدات، لينتفع وحده بالخضرة، التي أصبح يستنبتها، ويحرم منها سائر الكائنات، إلا الحيوانات المغفلة، التي انساقت وراء مشروعه الضاري، كالحمر والبغال. ها هي تنهق وراء شعاراته الحمقاء نزرع نزرع. وما إن خرق الإنسان قوانين وحدة الوجود، حتى انقسم، هو نفسه، إلى فئات. ألم تلاحظي جرذان بني طفيل؟ الجرذنة انطلقت من هناك. فأصابت الثيران الفريزيان والخنازير التي تعلف، بلا حدود، وكلاب الزينة والقطط المتواطئة والحيوانات البرية الحبيسة، وجراد جارودي.

كان جرداق يحكي بتدفق، ويحكي حتى إنه لم يلاحظ أن جريرة صمتت.

لم تنم، فالنوم في الهواء، ممنوع طبعًا، ولكنها حزنت لأنها أضاعت سنوات عزيزة من عمرها، في السهو والسرحان والفرص المهدرة.

قالت جريرة، تشكو حسرتها لجرداق:

. لقد فاتني الكثير يا شاعر.

فرد جرداق:

. لا لا، الجرود ياجريرة. وحتى لا تصمينني باللاجرادوية، الجرادة يا جريرة، بنت ظروفها. لكن من الضروري معرفة ما نريد.

فقالت جريدة بحماسة وصوت عذب:

. التوحّد في سرب الجراد العظيم من جديد.

فقال جرداق:

. بالضبط، فهذا كما تعلمين، هو جوهر كلام جارد. الفكرة بسيطة، فالسرب عقل جمعي جرادي جبار، لاحظي أن هذه المفردة ملكنا أيضًا. جمعي. كل جرادة، تطير داخل السرب، تهتم بالجرادة الأخرى. ويكون وجود هذه من وجود تلك. قال جدي الذي شارك في سرب من أربعين جليون جرود وجرادة، أن كتلهم كانت من القوة بحيث يمكنها أن ترمي بناية بشرية جبارة، بخفقان الأجنحة، إن أرادت، لكن قادة تلك الكتلة كانوا بلا أحقاد. وكانوا منشغلين عن كل مثل تلك الترهات، بالخضرة، موسيقانا وحبنا العظيم.

سكت جرداق حين رأى جريرة صامتة، وخشي أن تكون قد دهمتها الإغماءة العجيبة، لكن جريرة كان قد دهمها رحيق صافي، هو أول بوادر

حب جديد، ماله من قرار. وحاولت أن تفتح فمها لتقول شيئًا، فخرج الشعر غزيرًا وجديدًا هذه المرة:

. تكاكينا تكاكم تك تكاكينا

فرد جرداق بتأوّه حرّاق:

. هيلاه يا جوهرتي الجذابة

كان هذا بوحًا مفاجئًا، جفلت من وقعه جريرة، فطارت مرفرفة شرقًا فغربًا لمترين هنا ومترين هناك، كأنها إنسان لسعته جمرة. أما جرداق، فانزوى طائرًا في ركن الهواء الغربي. ومن هناك رمق جريرة، وقد عدلت ساريها والتمع السحر في فوانيسها، ثم رقصت في الهواء، باليه الحبور. كانت تمرق رشيقة، بين ثنايا موجات الهواء الذي ما خذلها. طارت وطارت ثم طارت بإيقاع لم يشهد جرداق مثله في طائر. وأسرع جرداق نحوها حتى لاصقها وطبع قبلة خاطفة في فمها فما صدته. كانت تكبر تكبر جزلة من الفرحة حتى ظنت نفسها حديدًا بشريًا هدارًا. ذلك ثم طارا وطارا كل ينسج قصيدته الداخلية وطارا وطارا حتى لاح غباش واصل نومك التي دخلاها فجرًا.

قال جرداق

. أين بيتكم يا جريرة

. جريرة

. جريرة

لم تجب جريرة، فقد انحدرت من علٍ بغتةً، على ريحانة، وهمدت

هناك. تأوهت أعطافها وانسكب بعض من عطرها على الريحانة، حتى انتفضت تلك واشتمت مقارنة رائحتها، غير الذكية، التي كانت توهم نفسها بها لأول مرة. وحين وصل جرداق، طائرًا ومشفقًا، وجد أن جريرة كانت قد راحت في سبات هاء السكت، فأفرد جناحيه فوق جريرة تمامًا ثم هبط فوق جسمها البض. وما لبث أن اجتاحه فرح عارم، فأصابته هاء السكت، لأول مرة، وسكت.

جرداق:
فوق سماء واصل

خرج جرداق من فرحته الغامرة التي تحولت إلى استمخاخ كامل ورمق بناظريه أرض واصل الجرداء فارتد بصره مفجوعًا وغمغم لنفسه قائلًا:

– يا له من قحط. هذه أول مرة في حياتي أكون مليئًا بالحبور في دواخلي في زمان الصيف والقحط وانقطاع التواصل.

حبور جرداق أسبابه، الأولى والأخيرة، هذه الجرادة المبدعة في رقصها وشعرها ومشاعرها. جريرة تجريدة الحب الجديد الدفاق، مما انهمر على جرداق بعد أن أوشكت فلسفته الخاصة أن تصل به إلى منطقة القول بانتفاء الحب عن الوجود.

ومع إن جرداق ليس من أنصار فكرة الكمال، إذ به مرونة، إلا أن إحجامه عن التواصل الحميم، جعل لديه رهبنة، شبه بشرية، لا توجد لدى الجراد.

حلّق جرداق، ودخل بعد حين في غمامة شعرٍ أعمته عن بؤس واصل،

فأقبل يحيك من حرير روحه، حريرة أكثرها عن جريرة. أما جريرة، فقد أنبهم حنينها لأهلها وتجريداتها، وما خصها ما الذي تقوله حين يراها الجميع وقد خرجت في طلب جرير، فعادت بهذا الجرو الجرادي النحرير. وحين مرت الخاطرة في دماغها عن جرداق، زغردت جريرة في سرها:

– جوي جوي جوي –

هكذا يزغرد الجراد بما أدخله بعض البشر في لغاتهم، كناية عن الفرح، رغمًا عن انتماء الزغرودة فيما هو بائن لعقيدة الجيم. زغردت جريرة ثم تساقط من تمرة فؤادها دفيق شعرها الجديد الذي حركه بدواخلها تلامس جرداق معها فقالت كأنها جرادة فرعونية:

أنت يامن لمست تمساحة روحي –
تدلى من مشلعيب هذا القلب على المجرة
والحق بمساندة من جسدي كله بأول السرب
حيث تجدني هناك
أسبقك بالأماني وتسبقني بالفعل

ومختزل ما قالت بشعر الجراد الرصين كان:

– تكاكم تك تكاكينا. تككناهم
تكاكم تك. تكم تكا كم.

خرج العاشقان الحبوران من غمامة الشعر، إلى السماء الجرداء، التي هي كذلك بسبب من انعكاس واصل نومك وأنحائها عليها. سماء بلا خيال، ولا غمامة وأرض، بلا عشب يستمطر الماء، ولا شجر يستمطر

السماء. ولا علم يرغم هذه كلها على السقيا وإن كرهت. أوشكت جريرة أن تعتذر لضيفها عن غياب الأرائك والسندس والاستبرق وقالت حكمتها المتوارثة:

. لا عليك يا جردقة، ففي كل جنة عشق، جمرتان من جهنم.

فرد جرداق:

. جهنم كلها بقربك يا جمرة، أفضل بها لا يقاس، من جنة الجراد.

هبط العاشقان قرب ريحانة متيبسة؛ وسرعان ما سرى الخبر في الإنقاية الجرداء كلها

. جريرة عادت مع جرير

وحين جاءت جمانة، والدة جريرة، لتتسقط الأخبار عن جرير وجريرة، وجدت فتى جديدًا يرمقها بجوهرتين متقدتين بالحيوية والشعر؛ فأصابتها هاء السكت، لأول مرة في عمرها المديد، وسكتت.

لكن شيخًا عمرانيًا، خرج من بين قصبتين متيبستين، لم يسكت؛ كان قد لخص الأخبار التي وصلته للتو، واستخلص منها حكمته. فسأل جرداق، قبل جريرة:

. هل أنت غائر واللا زائر؟

فردت جريرة، نيابة عن فتاها الجيد الحائر:

. هذا شاعر في هذا الزمان الجائر، وأوشكت أن تبوح بحبها له، هكذا من أول وهلة، لكن هاء السكت دهمتها، فجأة، فلم يعد جرداق يسمع غير خفقات قلبها العامر.

وأقبل جرداق على الشيخ محييًا:

. أنت الشيخ جمان فيما أظن؟

ردّ الشيخ الجرادي:

. حبابك

أنا جرداق. جئت للاطمئنان على سلامة وصول ابنتكم، الرائعة، جريرة.

. أهلًا يا ولدي؛ جرير ولدنا وأنت ولدنا كمان.

وتشابك الرجلان في سلام جرادي عامر، لا تسمع منه سوى الإرزام. كان سلامًا جديدًا على واصل نومك، للدرجة التي أصاب الوجوم معظم الشباب هناك فسكتوا.

قال جرداق:

. حقيقة يا جم جمان، لم أجيء إلى هذه النواحي، من دياركم أبدًا، فأنا من مواليد جناين جارودي، لكنني أعيش حاليًا في جرورة، أحد أحياء القصبة، التي جنبها الجراد الجديد على جنب.

ردّ جمان، مرحبًا ومستوعبًا ما قاله جرداق، بهز رأسه، وقال:

. الجراد الجديد، عقب راح يقدم من جديد. هيلاه يا ولدي، عمرنا كلو، من زمن الجركية والجهدية، ما شفنا زي دا.

وأمَّن جرداق، على كلام الشيخ جمان:

فعلًا؛ بالضبط يا جاح.

واصل نومك، في شقها الجرادي، عبارة عن إنقاية حُبلى، بالأمراض

والفقر والوعود الرنانة، التي تنطلق من مكبرات الصوت، التي ترسل عبر الأثير، من جابودي، جنة الجراد، سنرصف شوارع واصل بالذهب، ونغسل حماماتكم بماء الورد، وندفئكم من البرد، ونملأ بطونكم بالخضرة الحلال، وجيوبكم بالمال آل آل. لا توجد حمامات بواصل، ولا برد، بل يوجد جرب وجداول لا تجلب الماء، وسماء لا تعكس الزرقة، وأتربة وأعاصير، تثور ما عنَّ لها، وبقايا السرب العظيم يراوحون مكانهم هنا، تجريدات وتجريدات، في انتظار عودة السرب. الجرود والجرادة، في واصل، كادا أن ينفصلا نوعيًا، عن النوع في أشباه المدن الجرادية.

وهنالك ميدان وحيد في الإنقاية، هو ميدان التقاة، فيه يأتي البشر مرة، كل موسم، بورتابات هي كل محصولهم، مما يزرعون.

ولأن المحاصيل أصلًا شحيحة، فلا يعتب، أناس واصل نومك أولئك، على الجراد، ولا يتهمونه بما لم يفعله من التهام لمحاصيلهم، وهذا ربما كان هو السبب في بقاء جراد واصل نومك قرب الإنقاية. وهذا تحالف صامت بين من لا يملك من البشر والبهم والحمر والجراد، على العيش بسلام في زمن القحط؛ ويبدو أن الجميع تقلقه هذه المكبرات ذات الجعجعة:

. ازرع ازرع

«نزرع إيه».. يقول جمان، في سرّه، ثم يرمق جريرة فلذة كبده، ويرشق جرداق بنظرة متعاطفة، لكنها ماكرة.

. في تلك الساعة انتشرت إغماءة هاء السكت، في واصل، مثل وباء

جديد، لكن يبدو أنه وباء محبّب، طالما جاء به هذان الكائنان الغريبان الشاعران، جريرة وجرداق. وعندما جاء بعض الشباب بورتاب ناشف لتقديمه للضيف، كان عليهم أن ينفضوا، أولًا، عن مهجته تخشيبة هاء السكت.

وليمة المولية [13]

استيقظت جمانة من سباتها وقالت:

. لا، الورتاب الناشف للعدو. جيبو المولية من السما اللحمر يا الحبان للعرسان.

قفزت جريرة من هاء صمتها المحيرة، حين سمعت الكلمة الأخيرة، لكن قلبها عبر عن فرحته بضربات شاعرية:

. تاك تكم. تك تاك تكم.

وقالت جمانة تخاطب فلذة كبدها وضيفها الوسيم اللامع:

. جيدن جيتو

أما جرداق، فلم يسمع جملة جمانة المفرحة، فقد كان منشغلًا بمتابعة سلسلة السلالة، التي كان يسردها الشيخ الجرود، العارف جمان، الذي وكما هو بائن، مما رواه، ملم بسر السرب العظيم، بأحلامه وأهدافه، قبل الضربة الأخيرة. تعجب جرداق، في سره، من حكمة الشيخ، وأدرك السر من وراء شاعرية جريرة، هذه الجمرة الجميلة، وفوق هذا أيقن جرداق أن واصل نومك، ليست إنقاية جرداء قاحلة، وأن جمان هو جارد واصل

الحازم، وربما كان يبزه لو توافرت له جرائد الجراد المركزية وغيرها، مما يتوافر في حي جرورة.

خرج شباب واصل في طلاب المولية، يقوده جنفاوي وجنبقلي، يتبعهم جير وجنفاء وجانح وجلجلة وجرس وغيرهم من الجرود، الجديد الواثق. طافوا على الإنقايات الشمالية، قرب النهر، بنواحي فداسى والقريقريب والعيكورة وعترة، ثم رجعوا ناحية الكريبة وبيكة وودابريش والخولاب وسعد الله وودمطر وودرحمة والعلقماب وزنقاحة، حتى عادوا عبر النويلة والشبيراب والشبيك وشلعوها والسرايا وودرعية، عابرين الكنابي حتى وصلوا إلى إنقاية واصل نومك، بمولية وفيرة ما جمعوا مثلها، إلا في الاحتفال بنصر جنفاوي على جحمان. كانت مولية من كل شكل ولون. ولو كانت المولية من النباتات التي ينفع فيها التخزين، مثل الملوخية التي يصنعون منها (أم تكشو)، لكفتهم لجوغتين أو ثلاث جوغات، ولكن المولية هي المولية، الوجبة الموسيقية الخضراء، شأنها شأن الجرجير، خضراء حين تنبت، وخضراء حين تؤكل، وخضراء في الأمعاء، وهي تفوق الجرجير والخس في موسيقاها. إنها خضروات اللحظة الحاضرة. الخضرة التي ينبغي أن تعاش، في لحظتها الجرادية، وخضرة المولية، حلوة لأنها مرة، أو هي كما تقول عنها جمانة، خاطفة طعمين.

تعرف جرداق على الشباب، فكلهم سلموا عليه بمودة، حين قدمته جريرة لهم. هذا هو الشاعر جرداق وهذا جنفاوي، ياجرداق، وهذه جنفاء حبيبته، وهذا جير، هذه جيرية، هذه جنبقلية وذلك جنبقلي.

مضت جريرة تعرف جرداق بالصف الحيوي، من جيل ما بعد الجلجلالة، الذي ألحق في معركة الربوة، قرب واصل نومك، هزيمة نكراء بالشيخ جحمان، ذلك الجرود البدين الشحمان، الذي أوشك أن يربط كل إنتاج جراد واصل ببطنه، لولا حادثة قطع السرة، التي ابتدعها جنفاوي بيسراه، في ضربة زغردت لها كل إنقاية الجراد، وسرى الخبر في كافة الإنقايات، وفي ديار الجراد البدوي. كان جحمان يصرخ في جنفاوي:

. تعالَ أنا جاهز جاهز جاهز

فينقض عليه جنفاوي، وفي يده جنزير الإصرار. وحين انقطعت السرة، تناهت إلى الأسماع من إرجاء الجزيرة كلها زغاريد الجراد:

. جوي جوي جوي

وفي تلك الجردة ظهرت أغنية الجنزير. اختفى جحمان، ويقال إنه، الآن في جارودي، يشغل منصبًا مهمًا، نيابة عن جراد واصل، رغمًا عن خياشيمهم.

كان حي جرورة يستعد لهجمة جديدة، من هجماته المتكررة، على جنة الجراد؛ رغم تحذيرات جارد الحازم الداعية للتريث. الشباب الجديد لا يطيع أحدًا من السابقيه، لكنه جراد جامد جلد جهبذ جريء، لا يعرف الخوف، رغمًا عن كونه، يفقد في كل طلعة، بعضًا من خيرة أفراده. لم يسمع جابودي ولا جراري ولا عتبة عن جرداق شيئًا منذ خروجه في ذلك المساء، وراء جميزة قلبه. غاب جرداق مع جريرة طوال جولتين؛ والجولة هي أسبوع الجراد. قال جراري:

. لا يكون جرداق وِدِرْ في بلد جرادها عجمي!

فرد جارودي:

. جرداق هذه الأيام يفكر بي قلبو.

فردت عتبة:

. جريرة ما بتديهو عوجة.

حين أصبحت المولية جاهزة على المائدة بالبيدر، التقاة في طرف الإنقاية، جأرت الكلاليق الناشفة بالشكوى من شح المياه في أبدانها، شبع جراد واصل نومك، في ذلك المساء، من المولية، ثم نهض جنفاوي ورحب بالضيف؛ وفاجأتهم جريرة، حين قالت لهم بأن جرداق أشعر منها، وقرأت مقاطع من إنتاجه. قال جرداق، تقول جريرة:

. تكم وككم تكم وككم وككم وككم

التمعت الفوانيس الدوارة في رؤوس الجراد، في واصل، وغشاهم سحر عظيم، فهم في تاريخهم المنظور لم يسمعوا بمثل هذه الإيقاعات الجديدة. في ذلك المساء، قرأت جريرة شعرًا جديدًا أيضًا. كانت جمانة تعاين وتخرج، ثم تعود، وتعاين فرحة، لا تجد من تحكي له عن فرحتها، أما جمان فجرّد أفكاره جردتين، ثم أسلم لُبَه لحكمة الدواخل. وهذا شباب واصل كله، الجراد والجرادات، قام فحلّق فوق أجواء الإنقاية، والتمعت أجنحته، من حبور به، فأضحى كاليراعات؛ داروا ثم داروا ورقصوا، تتقدمهم جريرة، رقصة الطلاقة القصوى، وذلك بأن تقلّبوا في الفضاء صاعدين هابطين. كانوا جملة جرادية واحدة ممراحة حية بديعة،

ليس فيها جرذ واحد، ولا حائر ولا سجمان. في تلك الساعة، أيقن جرداق ومن بعده جريرة، أن السرب آت دون ريب.

وقرب الفجر هطل جراد واصل كله فوق أرض البيدر، التقاة النظيفة الملساء، كأنه محصول جديد لم يكن وهنًا، لكنه قبع هناك بلا حراك، فقد عم داء هاء السكت الجديد على واصل نومك، فسكتوا جميعًا، إلا الشيخ جمان والحاجة جمانة، إذ لا بد من أن يكون هناك كائن ما، يقظ يرعى السلالة.

في الجوم التالي، عاد العاشقان الجدد إلى جارودي، محملين بانطباعات لا حصر لها. وكان جرداق هو الأكثر سعادة، لا لتعرفه على أسرة حبيبته وأصدقائها فحسب، بل لأن بروفة مصغرة لتجميع السرب، قد تمت فوق سماء الجزيرة، فوق شبكة القرى المتناثرة على كل هذه المنطقة الخضراء المنبسطة، التي علاها شحوب جديد في عهد جبادة.

عادا لأن اجتماعًا وشيكًا على وشك الانعقاد. وهو اجتماع لن تحضره جريرة التي قبلوها في أول حضور لها لجارودي، لأن الاجتماع الأول كان ثقافيًا فيما يبدو. لكن جرداق أخطرها بأنه يمكنها البقاء أكثر مع أهلها، لأنها غير مدعوة للاجتماع الجديد، لكن لقلب جريرة كان هناك خيار آخر.

جارد الحازم

لم يكن جارد الحازم حازمًا، كما يوحي اللقب، لكن شباب الجراد أطلق عليه الاسم. كان جارد يفوق الجميع بالنظرة الشاملة، وقد يفوقه البعض في عفاريت التفاصيل. له عينان فانوسيتان، وفي نظرته، حين يرنو، التماعة خاصة، يتهيبها الشباب الدارج. يقول شباب الجراد:

. جارد صحيح في كل حركته ومواقفه، لكن العصر فاته، إذ لم تعد صحة المواقف، وحدها تكفي، إزاء هذا التدفق الحركي الشبابي العارم، وهذه الطاقات التي ليس لديها وقت للتأمل. الشباب يقول:

. كل شيء أصبح رهنًا للانطباعات العابرة، وليس من وقت للتأكد من الصحة والشفافية، وليس من وقت لوضع الإستراتيجيات.

ليس هذا، يقول جمبلغ، وقتًا للمتصوفة من الجراد. ليس وقتًا للحزم. يكفي منه التجرد، في أدنى مستوياته. جمبلغ عجول، حيث إنه كفتى جرادي نشط، يصحو حيث تشرق الجمس، ولا ينام إلا حين تكاد تشرق في اليوم التالي، كأنه يعيش في الدائرة القطبية. ومن عجلته فإنه لا يعترف بالمطبات الجوية، ولا يأنف من المشي، كأنه عتّاب، ولا تهمه الترتعة.

ينسى جمبلغ، أنه يستخدم وقت ثلاث جرادات، بينما يستخدم جارد وقت جرادة واحدة. قال جارد الحازم، وهو يرقب حركة الجراد الشبابي العشوائية كثيرة الأخطاء:

. لا بأس، هذا زمانهم وعلينا فضل التبصرة.

قال جمبلغ، في الاجتماع العام، الذي عقد قبل ذكرى قطع الأشجار مؤخرًا ، الأشجار التي مَرّ على قطعها، عدد من الجردات:

. نحن في جرن الجراد الثمانين، ولم يعد من وقت للتأني. علينا أن نسن حراب الفتك، وحدنا دون عتّاب بلا جبور بلا جراد نطاط بلا عتّاب بلا لمة؛ ونهجم، علينا أن نهجم وحدنا على الجنة.

ردَّ جارد، من تحت أسنانه:

. هذا التهور سيودي بأرواح الملايين منكم يا شباب. الجراد النطّاط العتّاب، إخوتنا في الحياة، ويمكن أن يشاركوا في الهبة، كدبّابات على الأرض، بينما يصعد السرب وقت الهَبّة إلى الجو. العتّاب أيضًا يتضرر من حكم جبّادة وبقية السادة.

قال جمبلغ:

. حياتنا كلها لا قيمة لها إزاء هذه المهانة. وسنظل ننتظر حتى ننظّم الكل، بمن فيهم الجراد العتّاب والنطاط، لجردات وجردات عبثًا بلا طائل، فتنظيم هذه الجماعات التي لا تشبهنا، مستحيل.

كان جرداق يرمق بناظريه في تأمل حزين صامت. أصبح الشاعر في المنطقة التي بين- بين وهو يسمع للمناظرة. وفي سرّه غمغم جراري:

. هيلاه بِضُرَّك يا جمبلغ، كان داير تودينا فْداهية.

قال ذلك وقرَّ، في دواخله، أنه من أنصار الاتجاه الجمبلغي. هكذا كان جابودي، لكن جرداق لم يحسم تردده الذي لا يشبه الشعراء.

في اللقاء السابق، الذي حضرته جريرة، خطب جارد الحازم فقال:

. نحن وهُم وكافة الكائنات خرجنا من الثقب الأسود، الذي في مركز المجرّة، وهناك مجرّات ومجرّات؛ وربما تكون هناك مجرّة يسود فيها قانون الموسيقى الأخضر. مشكلتنا ليست البشر، بل هذه الجرثومة الفتّاكة التي ما عهدها الجراد من قبل. لقد أدّت لتشرذم السرب وتشتته، والجراد اللاحم ماكر، وأي إقدام للهجوم على جنة الجراد، غير محسوب العواقب، سيؤدي إلى كارثة.

وتساءل جمبلغ من تحت لسانه سرًا:

. ها كارثة. وما الذي تبقى لنا منها الآن؟

استمر جارد الحازم في خطبته فقال:

جراد حي جرورة يجب أن يتصدى للجراد اللاحم. هذه الجرثومة انتقلت للجراد من الحي البشري، علينا محاصرتها، فلا تصيب المزيد من حارات الجراد ومدنه.

وفتحت جريرة التي تملكتها الرهبة فمها وسط دهشة الجميع في ذلك الاجتماع الذي استمعت فيه لجارد لأول مرة وقالت:

. لكن الجرثومة انتقلت، منذ زمن، للريف.

وقال جرداق، في ذلك الاجتماع، إنه وفيما عدا الكلام عن خروج

الجراد من المجرة فإنه يوافق جارد الحازم في أفكاره حول التأني لكن المجرة في نظره بعيدة عن جلوب هذه وعن جراوند جنة الجراد.

وهكذا انفض الاجتماع دون أن يحسم شيئًا. قال جراري:

. إن جنة الجراد بنيان هش، وما علينا إلا تحريك السرب برضا جارد الحازم، أو بعدم رضاه.

وسخر منه صديقه جابودي فقال:

. فصاحتك دي وين كانت، لما كان جارد بيتكلم؟

ذلك الاجتماع كان مربكًا، ولم تتضح فيه خطة بائنة، تقود إلى تجميع سرب الأمل، من جديد، بل تسبب في حيرة عبر عنها جرداق بقصيدة داخلية مكتومة:

. تك تك تك تك تك ككممم مممم

جُركُمْ

يمتاز جركم عن جميع الجراد، الذي وصل إلى حي جرورة، بأنه قدم من مناطق جرادية خضراء، لكنها فقيرة إلا من ماء السماء. وهو فتى جرادي مقدام وجريء، لا يهاب شيئًا . ولذا قر في دخيلة جارد، أن يعهد إليه قيادة التجريدة الخطافة، في التحليق الكبير فوق جنة الجراد، في بروفة للهجوم على الجنة. لكن جارد الحازم، غير رأيه وأخطر جركم بذلك، لأن جمدان المتمرد عاد. وهذا ما أدى لأن يقوم جركم بدوره المعهود في الحسابات، فهو يتمتع بحاسوب جرادي نسيج وحده، كما أنه أصلًا، لم يكن على علم بالمهمة التي كان سيوكلونه بها.

هو جركم ود أم جركم. وهو يسخر من الفكرة عن سلالتهم بأنها لا تعيش خريفين. يقول جركم: مساكين البشر لم يسمعوا بـ(الانكارنيشن) والحَلول، فنحن أرواحنا تحل فينا من أسلافنا، ونعي ذلك بعكس البشر الذين لا يعون. تحل روح الابن في الجرود في جريريد صغير، أو جريريدة لا يهم؛ ولذا فنحن نقهر الموت، ومن ناحية أخرى، فإن عقلنا جمعي؛ فعندما تحلّق أربعين جليون جرادة دفعة واحدة، يعمل العقل

الجمعي الجبار مثل حاسوب بنظرية كمومية، لم تخطر على بال الناس. وليس هنالك سيليكون هنا، بل كل جرودة أو جرود عضو حيوي في الحاسوب الهائل. كل جرود ميقا بايت، ولذا ففي السرب – الحاسوب أو الحاسوب– السرب أربعين مليون ميقا بايت.

وحقيقة فقد صدق جركم، والأمر الذي يحيرني أنا نفسي كراوية، هو معرفة جركم هذا الجرود الريفي، الذي من المفترض أن يكون ساذجًابالتقنيات الحديثة، على أرفع مستوى، فالجراد فعلًا عقله جمعي. وهو عقل صادر عن دماغ واحد كبير، مثل صدور الشجر وسائر النباتات عن الكلوروفيل. إذا انقسم بحيث يصيب كل جرادة نصيبها منه، تحولت قدرات أدمغة الشتات الجرادي، إلى مشغل حيواني صغير يهتم بالطعام والإفراذات وخفقان القلب. لكن إذا عمل جمع منظومة سرب الجراد الهائل، ذي الجلايين، تحول إلى عقل جمعي لا قبل لأدمغة البشر به. نصيب وافر بالملايين من العقل الهائل الأكبر، الذي لا تسعه التريليونات، ولا السنوات الضوئية.

كان جركم بارًا بوالدته، لذا أطلق عليه اسم ود أم جركم. هو لا يلومها عن التربية البسيطة التي تلقاها، وعلى عدم تدريبه في الجردات الأولى من عمره، فهو على دراية تامة بأنه، وكما يعيد الجراد تكوين نفسه في أجيال جديدة، يعيد الآباء والأمهات التربية نفسها التي يتلقونها من الأسلاف؛ وفي حال جركم، كان لا بد من كسر الحلّقة، وقد تم ذلك على يد جرداق وأصحابه.

هؤلاء الملاعين الذين لا يقنعون بالإجابات السهلة في حياتهم، ولا بالخضرة الجاهزة غذاءً لمعداتهم. كانوا يجلسون الليالي الطوال، قرب أيكة التطبيب، يفكرون في كل ما يجري وجرى منذ الخروج من عمق المجرة، إلى القدوم عبر جر الحبل لهذا الكوكب المليء بالكلوروفيل، قبل أن يستعمره الجن- سان عندما اكتشف الزراعة كي يخص نفسه وحدها، بعوائد الخضرة، فلا يستبقي منها إلا الفتات لمن يعاونه من الكائنات الداجنة، التي لا حيلة لها؛ أما الجراد وسائر الكائنات الطائرة الأخرى فمصيرها القنابل الكيماوية التي تقضي على كل كلوروفيل لا يستجيب لسجن الجرن والأكياس.

تعلم جركم واكتشف، من خلال رؤية زملائه الجدد، سر إعادة تدوير الجهل. ورغمًا عن أنه لم يصل إلى مرحلة رفض عقيدة الجيم، كما فعل جرداق، ومن بعده جراري وجابودي وعتبة؛ إلا أنه تعلم منهم فضيلة التسامح، وأصبح موقفه النقدي من خروجهم المخيف، موقفًا لا يتّسم بالحقد عليهم، بل بفتح كوات للحوار في دماغه الحاسوب. واكتشف فيه صحبه الجدد قدراته في الحسابات. يسأل جراري كم يبعد الثقب الأسود رحم الجراد وسائر الكائنات الكبيرة في عمق المجرة، فيجيب جركم:

. ثلاثة جليارات جردة ضوئية، وخمسائة جليون وثلاثين جلفًا وسبعمائة وخمسة وجسرين جيلومترًا .

هكذا يجيب بحسم، كأن الأرقام ترد إلى دماغه من مصدر مجهول. وفي حقيقة الأمر، ليس من مصدر مجهول، بل عن عقل الجراد الجمعي. كان

قد اكتشف في جاغات سريان السرب العظيم، أن كل مفردة جراية في هذا العقل الجمعي، كانت لها وظيفة تختلف عن غيرها. والجهل إنما يأتي من كون كل ديفايس جرادي يعمل في غير الوظيفة التي خصصت لها قدراته الكامنة، فلو أن جركم تحول من كونه عقل حاسوب، لعقل شاعر مثل جرداق، أو عقل قائد للسرب مثل عقل جمدان، لجاء العطاء مشوهًا. هنا أدرك جركم أن أهله كانوا يعيدون إنتاج آلاف الجراكم، عبر الجرون، كي يقوم كل جركم، بخلاف ما هو مصمم له في شفراته الوراثية.

هناك التماعات، هنا وهناك، لجراكم اكتشفوا، إما بالصدفة أو بفعل فاعل، قدراتهم الحاسوبية الكامنة؛ وقد جاءت لجركم، عبر الخلخلة الوراثية التي تنقل التاريخ الجيبني للجراد، ما اجترحه أولئك الرواد الأوائل من الجراكم الغابرين. لكن جركمًا واحدًا لم يصل لمستوى جركم ود أم جركم، حين اتصل بأصحابه في حي جرورة، ذلك لأن المعارف القديمة كلها تم صقلها عبر جلسات أيكة التطبيب الفلسفية، وأدرك جركم أن ما يفيد به السرب حقًا، هو هذه الآلة الحاسبة الجبارة التي يملكها، بدلًا من العمل في أي مجال آخر، بما في ذلك فرز الخضرة من شوك الهشاب، كما ظل أكثر من جيل من الجراكم من أهله الميامين يعملون ويعملون.

جهبوذ

جمع جهبوذ حوله جمهور الجراد المطّلع على كل ما يخص الجراد، ليس بعد الخلق والتكوين، فهذه فترة لا يعلم بها إلا خالق الكائنات؛ لكن جمهور الجراد، وعلى رأسهم جهبوذ، يقدمون تنويرًا للجراد عن فترة الخروج من عمق المجرة.

في البداية يقول جهبوذ: كانت الجرادة الأولى الأم، وهي جرادة عظيمة، بمعنى أنها كثيرة العظام وضخمة، ومنها انبثقت النّظم، ولذا نجد في لغة الجنسان تعريفًا يقول (النَّظم لغة هو الجماعة من الجراد). وما لا يعرفه بنو جنسان، هو أن الله أودع في الجراد سرًا من أسرار الخلق؛ فالجراد يستنسخ بعضه بعضًا، كل جرادة تلد مئات من النسخ الجرادية من الذكور والإناث، بحيث تتطابق كل أنثى كلية مع أمها، وكل ذكر كلية مع أبيه في المشاعر والتفكير والشكل. هذا يفسر سر التشابه المذهل للجراد من جيل إلى جيل. في السابق كانت النظم وحدها هي التي تشكل العقل الجمعي للجراد، لكن مع ظهور السرب تغيرت أشكال الجراد، وحتى معلوماتها، فالسرب عقل جمعي هائل.

يحكي جهبوذ أن أكبر سرب خبرته أرومة الجراد، كان يتكون من مليارات الجرادات. ويصدق جهمور جهبوذ روايته، ويصدقها حكماء أمثال جارد الحازم. ويستلف جهبوذ لغة الجنسان في تقديم وصف علمي لفصائل الجراد، فهو يتبع، في نظره، نقلًا عن الجنسان لمجموعة كبيرة من الحشرات، ويسمى عادة بالنطّاط، قبل أن يتحوّر لدى السعي لتكوين السرب.

ويقول جهبوذ إن الجراد الذي من دون أجنحة، هو العتّاب؛ والجراد في نظره، ينقسم إلى الجراد الصحراوي (شستوسركا جريجاريا ـــ فروسكال)، والجراد المهاجر (لوكستاما ـــ ريخ وفير مير)، والجراد الشرقي (ميجن)، والجراد الأحمر، وجراد الشجر(انكريدم ميلانور هودون) والجراد الأسمر(ووكر).

يعتبر جلكوز، وهو من صنف الجراد الجديد حلو المعشر، من أكبر نقاد جهبوذ. ففي نظره، أن جهبوذ غارق في خزعبلات الجنسان التي يطلق عليها صفة العلم، وهي مواد يتم تصنيفها بلا طائل، فهي لا تخدم غاية الجراد المبتغاة الرامية لتحرير كوكب جلوب من آفة الزراعة، وترك النباتات تنمو على سجيتها، فهي كما أنشأها الخالق أول مرة، كفيلة بإطعام كل الكائنات، بما فيها الجنسان الطماع، دون مبيدات، مما يطلق عليه المبيدات الحشرية. وما هي إلا قنابل تعمل على تدمير الكوكب إن عاجلًا أو آجلًا.

يضحك جلكوز، وهو يمد لرفيقته جلكوزة، صفقة برتقال ويقول:

. انظري لهذه الصفقة يا حبيبتي، هل تعلمين أن الجنسان، عن طريق جنّه الجديد، الذي أطلق عليه الجينات، قد أعدم ثمرتها من البذور كي يستمتع بأكل ثمرة البرتقال صافية خالية من أي بذرة؟

فردت جلكوزة:

. وكيف سيتواصل نمو الشجرة الحلوة التي ننعم بخضرتها من جيل إلى جيل؟

فرد عليها جلكوز:

. ذلك هو الأمر الذي يجب أن نقنع به جهبوذ وجماعته، كي يكفوا عن السعي وراء ترهات الجنسان، والسعي للترويج للسرب. هيا بنا يا جلكوزة، نلحق بأحبابنا الجدد قرب جميزة التطبيب.

عقيدة الجيم

جاء الجراد من الثقب الأسود الهائل، الذي في قلب المجرة. فيما تشير أكثر النظريات معقولية ووجاهة، دون أي عقيدة. كان جرادًا بدائيًا، لا يملك أكثر المتصورين لسيرته الأولى خيالًا، إلا صورة غائمة عن حالته قبل الخروج الغريب من رحم المجرة.

كان في تلك الفترة السحيقة من نشأته، كائنات غريبة؛ ويدري الجراد أنه حل سؤال البيضة أم الجرادة البشرى البليد. فالجرادة طبعًا أولًا، وقد كانت مأثرة شبه الجراد الأولى، هائلة في محاولة تكرار نفسه والتماثل وراثيًا؛ لذا كانت تلك الفترة، التي سبقت عبقرية الوراثة الجينية، فترة حرة؛ فيها تجريب لأشباه جراد عقيم وجوبًا، لكنه حر في أشكاله، حتى ليكاد من يرصدهم في ذلك الوقت، أن يقول إنهم لا جراد.

كائنات حلزونية حينًا، ومستديرة حينًا آخر، كبيرة تارة، وصغيرة تارة أخرى؛ بطيئة طورًا وسريعة طورًا آخر. لكن في تلك الفترة السحيقة، فترة التكوين، لم يكن هناك مؤرخون. وحل عصر جديد،

فأصبحت تشغل الجراد كله، فكرة واحدة مركزية، هي البحث عن الموسيقى الخضراء وغرائز عديدة أهمها غريزتا البقاء والخوف.

هنا نشأ التزاوج، وهكذا تكاثر الجراد، دون عقيدة. وشيئًا فشيئًا اكتشف التشابه فيما بين فصائله المختلفة. وفيما بعد دخل في علاقات ما بين الكائنات. في عصر جسامة، اكتشف الجراد سيطرة البشر على الخضرة عن طريق الزراعة، التي أباد بها الغابات التي كانت تكفي جميع الكائنات، دون مطامع. جسامة وأصحابه الميامين الأوائل، هم من ابتدعوا فكرة الطيران في كتلة لها عقل جرادي جامع واحد.

كان الجراد قبلها، يطير في جماعات صغيرة متفرقة، سرعان ما تصبح نهبًا للكائنات الديناصورية الطائرة، آكلة الطيور والجراد في ذلك العهد السحيق. وفي ذلك العهد، كانت هناك ثمار لشجرة عاتية اسمها القُنْضُل، وشجر زمن الديناصورات أضخم من أعتى شجرة مما نراها الآن، خمسين ألف مرة. شجرة القنضل تلك، ثمرتها أمرّ من الحنظل ألف مرة؛ وهي التي أعانت جماعاتنا الجرادية من الانقراض. إذ يكفي أن يحط سربنا فوقها لتبتعد عنا الديناصورات الطائرة. وهي تزفر حنقًا، فالقنضل عدوها السام. وفي امتنان منا، لم نكن نقضم من أوراق القنضل، ليس بسبب سيمتها، فالجراد لا يحس بسموم في أي خضرة، ولكن لأن جدودنا زمان أوصونا على رد الجميل. وهكذا كنا في أحايين كثيرة، حين يعم الجفاف، نرد الماء فوق ظهورنا ونحن شرب جليوني بجلايين الجالونات. ونأتي سابحين في الهواء، فوق

شجرات القنضل الممتدات كالغابات، ونرقص فوقها فيهضل الماء الذي يتخلخل أجنحتنا وأطرافنا وظهورنا كالأمطار عليها، فتعمها الخضرة والانتعاش والدعاش؛ بينما علمتنا هذه المأثرة فنون الرقص.

جمدان

جمدان فتى جرادي جامد، كأنه لا قلب له، وله قدرات عجيبة على المناورات في فن القتال. في طفولته المتأخرة، أيام كان الجراد في ناحيتهم يتشكل في مجموعات صغيرة، ولا يعلم بشيء اسمه السرب العظيم، كان دائم الشجار مع الأطفال من أنداده. لكنه كان يخرج من كل شجارٍ منتصرًا، مستخدمًا شتى الحيل في إسقاط أترابه على الأرض، كلما اشرأبت أشواقهم للطيران. لكنه في قرارة نفسه، لم يكن شريرًا. وعندما أصبح فتى جراديًا لامعًا، كفّ عن العبث في الشجارات، وأصبح لا يدخل فيها إلا لنصرة مظلومة. هو لا يساند أترابه من الجرود، وإن كانوا مظلومين، لكنه يساند الجرادات.

وبما أن الجراد محكوم وقتها بعقيدة الجيم، فلابد له قسرًا من أن يتزوج جامدة. وهكذا فالجراد محصن، بسبب هذه العقيدة، من أي التواءات عشقية مما اجترحه شباب الجراد، فيما بعد، في ظاهرة جرير وجرداق.

لجردات طويلة غاب جمدان عن مشهد الاستعدادات للهبّة، إذ لم يظهر جمدان الذي قاد فيما بعد سرب الجراد، ذي الأربعين جليونًا في الهبة

العظيمة. فقد تمت لجمدان حردات لجردات وجردات، حين كان غائبًا في منطقة شجر الهشاب، قرب جور طقت، في إحدى حرداته الدورية وإحباطاته المتكررة من جدوى التنظيم.

عاد إلى جرورة أخيرًا، وهو مستيقظ الروح؛ وفي داخله فكرة، مثل حد السكين، تقول: إن تجميع الجراد الذي هو خارج البيات السياسي، في جلايينه العديدة، ولو في جسرين جليونًا، هو الحل الوحيد لتوجيه الضربة الساحقة لجنة الجراد المكتنز. وحين رأى جارد الحازم، وكثيرون من قادة الرأي الجرادي جمدان، وسمعوا في دواخله هذا الإصرار الجديد، تخلوا عن فكرة أن يقوم جركم بقيادة جيوش الجراد المجيشة. وتخلوا عن فكرة البروفات، وطفقوا يحشدون القوة من أجل الهبّة الماحقة.

السرب:
الخروج التجريبي النهائي

قال جارد الحازم، إن الحل في وحدة قوى السرب، الصبيات والصبيان الكبار والصغار، والتحرك، بإمرة قائد واحد، نحو الهدف الهجوم على جنة الجراد المزعومة.

. هذه الجنة أقيمت باسمنا، قال جارد، لكن من أجل غذاء الجراد اللاحم ومتعته.

قال جرداق:

.ليس من المهم أن يكونوا تحت إمرة قائد واحد، يكفي أن تتّحد القوى كلها، تحت قادة مختلفين؛ كل قائد جرادي مع مجموعته التي يستلطفها.

قالت جرادة جهوية:

. لا، بل كل سرب من جهة ما، يقاتل تحت لواء عشيرته. ثمة جرادات من مناطق نائية، أصبن بالبيات الشتوي ولم يعد يهمهن الاشتراك في سرب.

قالت جريرة، التي أصبحت مستنيرة:

. لا يهم أن يشترك كل الجراد في السرب؛ يكفي أن يشترك الجراد الحي، المهتم بالقضية، فيما بعد سيجيء الآخرون.

تباينت النظريات والهدف واحد. كل ذلك محاه، بضربة واحدة، ظهور السرب العظيم. ثمانون جليون جرادة هبّوا، هبّة جرادة واحدة، في سرب له دوي. ومن عجبٍ، أنه لا ترتطم جرادة واحدة منه، بجاريتها في هذا المسرى العظيم. كانَ جرادًا حاشدًا بصورة لم تشهد لها أجياله الصاعدة مثيلًا. ولأن السرب أصبح عقلًا جماعيًا، كل فرد فيه، جرادة كانت أو جرود، تمثل شريحة خازنة لمعلومة أو فكرة من الهم الشاغل للجراد كله، فقد أصبحت حصيلة الأفكار الداخلية، أكبر من مجموع كتلة السرب بمراحل. أصبح لدي السرب أكبر عقل تشهده الجرة الأرضية. واتصلت الخبرات من لدن الخروج من عمق المجرة، إلى زمان المسرة المستقبلي القائم. هكذا أصبح للجراد تاريخ. وأصبح كل فرد يستمتع بذكريات لم يسبق له أن خبرها.

هذا يوم الفرح الأكبر، يوم ظهور الحب بأكبر من الحب الذي خبرته جريرة مع جرداق. ومن عجب، أن فرد السرب كان يحصل فورًا على ما يتمناه؛ فعندما تمنت جريرة أن تحكي لجرداق مشاعرها، التفتت لتجد جرداق على يمينها وأمها وأبوها من خلفها. ليس هذا فحسب، بل كل من تحبهم. لا تفصل بينهم إلا المسافات المعلومة التي يقدرها العقل الجمعي للسرب. هنا انبثق شعر جديد لجريرة فنبست لها نفسها:

. تكم وككم تكاكينا.

وما لبثت أن سمعت همهمة بجوارها من جرداق، فأحرزت أنه يرد عليها، كأنه سمع بثها الداخلي:

. وكم وككم تكاكينا.

ثم سرت همهمة تصاعدت وصارت نغمة عالية، لدى السرب كله، نغمة داوية لها إرزام:

تكم وككم تكاكينا... وكم وككم تكاكينا

لقد تبنى السرب، في عقله الجماعي، مقطعي شاعرتيه أو شاعريه. الجراد لا يفرق بين الجنسين في اللغة لذا تصعب الترجمة. سرى السرب وهو يرزم:

. تكم وككم تكاكينا... وكم وككم تكاكينا

وتمايل وهو يغني، وفي غمرة هذا التمايل، رأت جريرة جمدان في مقدمة السرب، فأحرزت أن رأي جارد الحازم انتصر، لكن مع الميلان الثاني، رأت جابودي وجراري وشباب جرادي لا تعرف أسماءهم، يقودون دفة السرب العظيم مع جمدان بمهارة فائقة.

والتفتت فلم تجد جرداق بجوارها، ثم مع الميلان الثالث شاهدته إلى جوار قادة دفة السرب، يهمهمون بالمقطع الشعري نفسه:

. تكم وككم تكاكينا... وكم وككم تكاكينا

ويردد السرب من بعدهم، فاختلط عليها الأمر وتساءلت:

. هل هي التي صاغت المقطع الأول، أو أنه كان من صياغة قادة السرب!

وأتاها وارد الرد بصوت جمدان:

. أنت صغته يا جريرة، لكن وارده جاءنا قبل أن تنطقي به، لا تنسَ أننا دماغ واحد، ينتج عقلًا واحدًا، إذا ابتدرت منه خلية فكرة نيرة، تداعى لها سائر الدماغ بالتأييد والمساندة.

سرى السرب ليلًا فوق النهر العظيم، ثم طاف على روافده. سرى محلّقًا فوق الغابات والأدغال والسهول وقمم الجبال، وكان يردد مقطع الثورة الذي يثير حماسته:

. تكم ووككم تكاكينا... وكم وككم تكاكينا

عاصفة السرب:
العقل الجمعي العظيم

لم تتم الدعوة للسرب بواسطة جارد والجرود والجرادات العديدات، التي استقطبها الهم الشاغل بتجميع الجراد، بعد تشتته العظيم، منذ الضربة السابقة المقيتة، التي تمت قبل عقود، بالمبيد المطعوم بنشيد دوغمائي وهواء فاسد. جارد وأتباعه هم من أكبر المحرضين للم الشتيت لجراد آخر، من داخل وخارج جرورة. ليس حي جرورة وحده، ولا جماعة الجمهور وحدها، هي التي ستقوى على التجميع، ولذا تنادى جراد جماعة الجقلبة وجراد جماعة الجهجهة وجراد جبهة المولية، الذين ينادون بالعودة للخضرة الوطنية، من موليتة وفقوس (تبش) وحميض وحنبك وقضيم. وجراد جماعة الجرسة الذين كانوا قد استسلموا للجراد الجامبو وطغاة جنة الجراد، وشاركوهم في قضم الخضرة السوبر، ثم عادوا من بعد غيهم يحاولون اللحاق بركب السرب لأنهم يعلمون علم اليقين، من روايات أجدادهم، أن السرب إن نهض فلن تقوى عليه أعتى الجرافات والمبيدات. وهكذا تم الاتفاق على إنشاء جيم الجراد الأعلى.

ج. ج. أ.

انطلق جرداق وجريرة يحرضان، بشعرهما الجديد، الشباب الجرادي في كل مكان، ونظموا أشعارًا جديدة تدعو للسرب العظيم. هتف جرداق:

. وكَم وكَكَ كُمْ كما وكك كم

ففاجأته جريرة:

. كما ويككككم تماسككم تماسكنا تماسككم

فاندهش جرداق لسماع هذه الأوزان الجديدة، وأقبل على جريرة يتفرس في عينيها الدوارتين، ثم ما لبث أن لثم ثغرها وقال لها:

. رمانة الخضرة كلها أنت يا جريرة، أنت الحريرة[14] والضريرة [15] (الذريرة في العربية).

ومن بعيد أقبل أصدقاؤهما جابودي وجراري وعتبة. كانت عتبة تردد أشعار جرداق:

. تكاكم تك تكك وككم تكاكم تك

فقال لها جرداق:

. جريرة تخطت هذا الشعر فقد سمعتها اليوم تقول:

. تماسكم تماسكنا كما ويككم

فقال جابودي:

. الله الله، من وين يا جريرة، جبت النغم الجديد دا؟

فقالت عتبة:

. من القلب الولهان!

وقال جراري ممازحًا:

. ولهان بي منو؟ بالشاعر المتقلب في الهوى دا؟ شفت ليك يا عتبة، شاعر قلبو ركّ في شجرة واحدة؟ دا غابات ما تحوشو.

وقال جابودي:

. هيلاه يستر عليك يا جريرة، من تقلبات جرداق.

فرد جرداق عليهما:

. دي حسادة منكم. وأنت يا جابودي هيلاه يستر على عتبة من نكوصك على عقبيك، بعد ما قالت جماعاتنا إنك عملت مأثرة.

فرد جابودي:

. عتبة في تمرة القلب. بعد انتصارنا حتشوفو.

وقالت عتبة:

. جابودي حبيب وكلمتو واحدة.

وقال جرداق

. الآن لا وقت لدينا طيروا لثورتكم.

وأقبل الأصحاب على بعضهم البعض يغمغمون في فرح غامر، وحماسة يتطاير شررها، بنشيد الهبّة الصافي:

. تك تككم تك تككم تككم تككم. تك تكها تك تكها تكها تكها.

كتب هذا النشيد شاعر جرادي مجهول، قيل إنه منذ الهبّة الثانية، التي كان قوامها واحدا وعشرين جليون جرادة. تلك الهبة التي اختُطفت، ثم أعقبتها الهبة الثالثة التي لم تدم انتصاراتها طويلًا.

ونظرت جريرة في بؤبؤ عيني جرداق بحب وحبور عظيمين، ثم انطلق الأصحاب بعد أن تركوا عتبة وراءهم تندب حظها في عدم المشاركة. كانت بها حسرة وهي تنط من عشبة إلى عشبة، واعترتها عدوى الشعر فانطلقت منها لأول مرة، أبيات لا تدري على أي فصيل من الجراد تنتمي:

. عم به هم عم بهم بهم بهم

ولئن حكت فيما بعد لأصحابها عن هذا، فربما لا يصدقون، لكن اللحظة الثورية تصنع المعجزات. وطاف الأصحاب جريرة وجرداق وجابودي وجراري وانضم إليهم شباب جرادي، من جميع أحزاب الجراد الذي أعلن انضمامه للهبّة على مراحل، طافوا في أنحاء جارودي وما جاورها، وهم يغنون بأشعار جديدة جاءت من وارد رايح الثورة:

. كاكيهم وكك وكك كم كاكيهم وكك وككم... كاكاونا وكم وكك كم

تكالمتم تكالمنا وكك وكك كم

كاكيهم وكم وككم كاكاونا وكك وكك كم

يغنون ويغنون، بالفرح والحبور كله، على ما لانهاية.

ولأن الطائفين أصبح عددهم كبيرًا، فقد توزعوا على جميع المناطق يحثون جميع الجراد، ممن كانوا في نشاط ومن كانوا يترقبون ومن ظلوا في بيات شتوي، بالخروج والانضمام إلى السرب. طافوا على الجراد من جنينة وجبلين وجرادة وجودة وجيجر وجلهاك وجلالة وجوري وجبل موية. طافوا على جبل رويان، جبل عطشان، جبل الدود، جبل أم علي، جبل

الصحابة، جبل قبلي، جبل جاري، جزيرة صاي، جزيرة الرحمن، جزيرة المشروع، جبيلية، جزيرة الفيل، جزيرة ملو، جريف، جيلي، جوير، جبلاب، جليعة، جاد الله، جاد العين، جادين، جبرالله، جابر، جابراب، جوابرة، جاراب، جلفا، جكيكة، جامع أب عجورة، جرقود، جالي جنابيل.

لم يتركوا مدينة ولا بلدة ولا قرية من عقيدة من أماكن عقيدة الجيم، إلا طافوا حولها وهم يضرمون الحماس في شبابها بنشيد الثورة:

. تك تككم تك تككم تككم تككم. تك تكها تك تكها تكها تكها.

ثم شيئًا فشيئًا ظهرت طلائع الهبّة فوق سماء حي جرورة، وما هي إلا ساعات حتى علت فوق هذا الحي الثوري سحابة من أربعين جليون جرادة وتزيد، وللدهشة، فإن هذا السرب الكوني الضخم كان جسمًا حاسوبيًا واحدًا لا يخدش جناحٌ فيه جناحًا مجاورًا، ولا يرتطم جسم بجسم؛ كانت الفرقة الحاسوبية، بقيادة جركم ود أم جركم، توزع شفراتها الكيمائية لأربعين جليون وحدة جرادية وتزيد، وتقدم جمدان لقيادة الجيش الجرار الطائر، وهتف هاتف بالمقطع الأول من نشيد الثورة، اتضح فيما بعد أنه شاعر السرب جرداق:

. تك تككم تك تككم تككم تككم

وسرت هذه النغمة بين الجسم الجليوني الطائر، ثم ما لبث أن أصبح لها إرزام، وتحركوا نحو جنة الجراد.

كأنما كان هناك وارد مساند من عمق المجرة، فالصوت تك تككم

يتبعه صوت رنان يقول:

. أومممممممم

باستطالة وامتداد سيمفوني للنغمة في الحركة الرابعة. بدا السرب كأنه كتلة عمياء تسير بلا هدف، لكن الناظر إليه يرى التنظيم البديع، فالكتلة ذات الأربعين جليونًا أصبحت أكبر من عددها بمراحل. واندلف جمدان وفريق أركانه، يطوفون بأرجاء جارودي، ثم انعطفوا فجأة بكتلة السرب الهائلة نحو جنة الجراد، وأصدر جمدان والقادة العاملون معه، أوامرهم بإطلاق قنابل الهدير الصوتية، فانطلق الجراد، لأول مرة، بهدير في صوت واحد تساعده النغمات الصادرة من عمق المجرة، وخفق ثمانون جليون جناح وتزيد:

. جمممممم جمممممم

ثم: ه جمممممم هجمممممم.

وما هي إلا لحظات، حتى تضخم السرب وتضخم، وأصبحت كل جرادة فيه وكل جرود، أكثر من كونه كائنًا، كائنًا وزيادة، كائنًا ورغبة في الفداء، في الغيرية في حدها الأقصى الذي ينبذ مشاعر الأنا، ويدفع بها نحو أقاصي أقاليم الروح، حيث الخلاء والوحشة الوجدانية، مكب المشاعر البغيضة؛ في تلك اللحظة الكونية الثورية، طاف بأدمغة السرب الجليونية حبور فوري، تم التعبير عنه بالصيحات الجزلة، وانفجارات الضحك الفجائية. إنه سرور يغذيه أربعون جليون دماغ، تحف بها المشاعر المشتركة، حبور كأنه وارد من الخارج لكنه وارد من الداخل لدى

الشعور أن بإمكان السرب أن يصنع الكون نفسه.

واختلط النشيد بالهتاف بالإرزامات، حين هبط السرب على مدينة جبادة المحصنة، فهتك حصنها في ساعات قليلة، نهش السرب جنة الجراد في نقرات متزامنات من أربعين جليون فم وتزيد، ثم ارتفع فوق سمائها وفي فم كل جرادة شريحة ضئيلة من البلاستيك، وعندما ألقى جمدان نظرة إلى أسفل، صاح في جنوده:

. جنود.. المهمة انتهت. ها هو الجراد الجامبو، جراد جبادة وأتباعه، يلوذون بالفرار والساحة من تحتنا جرداء.

ونظر جراري إلى أسفل، فرأى كيف أن جنة الجراد انتهت إلى خرابة فقال:

. الكترابل

ونظر جمبقلي، القادم من واصل نومك، إلى الأسفل وصاح:

. الغزالل

ونظرت جريرة، ومن بعدها جرداق، ثم أطلقا نشيدًا جديدًا:

. تكاملنا تكاملتم تكاكم تك تكم ووكم تكأكأتم تكاكم تك

وسرت وسط السرب همهمة بالنشيد الجديد، فالجراد متصل جينيًا ببعضه البعض، في لحمة كونية واحدة، اسمها السرب.

. تكاملنا تكاملتم تكاكم تك تكم ووكم تكأكأتم تكاكم تك

وصاح جارد الحازم:

. يا شباب، سيرسل جيم الجراد الأعلى فصيلًا ليطاردهم كي نقدمهم

للمحاكمة. لا ترموا عليهم فتافت البلاستيك فتطمروهم بها، رجاءً.

جبادة وأعوانه، فقد أصبحوا مذعورين تحت رحمة السرب. لكن شباب الجراد لم يسمع رأي جارد الحازم، وفتتت البلاستيك، فتطاير فوق سماء جنة الجراد وبقي الجراد اللاحم ينتظر مصيره.

هنا صاح جارد الحازم:

. لا تنتقموا يا شباب، نحن لا ننتقم. اذهبوا بهم لمحابس الجراد التي أقاموها هم بأنفسهم، في غارودي.

قال جمدان:

. نحبسهم في جمجم.

فرد جارد الحازم:

.لا، الجمجم لا يتيح لهم فرصةً للتنفس ولا للطعام. لابد من إطعامهم مما كان يأكل الجراد العادي.

فصاحت جريرة من الخلف:

. نطعمهم بالعَدار من حقول جزيرة البائسة

ورد جراد آخر:

نعم العَدار العَدار والسِعدة. هذا أكلنا كلنا.

قاد قادة السرب، الجراد اللاحم والجامبو إلى المحابس، في انتظار ما تسفر عنه الأيام. ومنذ ذلك اليوم أصبح سرب الجراد يتمتع بالخضرة موسيقى الجراد العظيمة، دون موانع، وعاد يتغنى بأفراحه.

واستمر بعض شباب الجراد المتمرد في رمى المطاردين بالفتات،

فشاهد الجميع الذعر الذي اعترى الجراد الجامبو والجراد السمين والجراد السمين وبدين والجراد اللاحم والجراد اللاحم وشاحم، والجراد المكتنز والجراد الذي ينز، والجراد الوديك والجراد السميك، والجراد المنيع والجراد الذي يدعي بأنه ضليع، والجراد العاتي، والجراد الفاتي؛ وأعجب من هذا كله، فصائل أخرى من الجراد الأممي، حيث كان هناك الجراد الجامبو والجراد الجائر والجراد الجائز والجراد الحائز والجراد الجراند وغيره من الجراد. كلهم جمعهم جبادة وأعوانه لبناء جنة الجراد لهم وحدهم، وتركوا الجحيم للسرب الجليوني المكون من الغالبية العظمى من الجراد بما لا يقاس. ها هم أتباع جبادة، بعد ضربة السرب الماحقة، التي أزالت دولتهم في غمضة عين، في حالة رعب وفزع عظيمين، وقد أقبلوا على بعضهم البعض في كل واد يتلاومون.

عبثًا، فحصت جريرة بعينيها الجراد الهارب مع المغارب، فلم تجد لجرير أثرًا. لعله هرب قبل الهبّة، فهو يعرف دائمًا مخارج لروحه وحدها، ولعله تركها وراءه في حيرة ذابلة.

وهكذا ما بين غمضة عين وانتباهتها، فجّر سرب الجراد هبّته على جنة الجراد، فأثبت أن القول بأن عالم جبادة الرهيب، هو عالم لا يقهر، ما هو إلا فرية كبرى؛ فالسرب أقوى من مجموع أفراده وأقوى من الجبروت. بغتة ثم سرت في الأثير الأغنية الجديدة التي تؤرخ للانتصار العظيم:

. كاكيهم وكك وكك كن... كاكاوْنا وكم وكك كين وكك وكك كين

تكالمتم تكالمنا وكك وككين... وكك وككين
كاكيهم وكم وككن كاكاوْنا وكك وكك كين وكك وكك كين.

ونقلتها الرياح إلى كل الأنحاء التي جاء منها السرب، وتناغمت معها الطيور وسائر رفاق الجراد في الحياة، وانتقلت عدوى هذا النشيد العظيم الذي يبشر بالخضرة والنماء، عبر وجيب القلوب، إلى كافة أنحاء الجلوب.

سيعود للأرض رونقها قبل اكتشاف الجنسان للمبيدات، ثم انتقلت العدوى الإيجابية من الكائنات المهضوم حقها إلى الجنسان، إيذانًا بعودة موسيقى الخضرة إلى كافة الكائنات، فلا ينفرد بها الجراد لوحده، ولا تعود الدورة الجهنمية من جديد. خضرة لو عمّت الجلوب ستعمرها، وتعمر القلوب كلها، قلوب الكائنات، فهي مهما صغرت، فذات وجيب، تختزن الحب وتمرر الدماء صافية رقراقة إلى الأجساد، حين ترى الجمال. وليس أجمل من خضرة تكتسي الجلوب، خضرة خضراء مخضرة مورقة مونقة ومموسقة؛ أكثر من الخضرة التي في الأحلام، حينها ستدرك كل الكائنات معنى أن تكون النباتات الخضراء التي اجتثتها الأيدي الجشعة، سيمفونية تعمر الكون بموسيقى دائمة خالدة، أفضل بألف مرة من حالة الصلع في الجلوب، حيث الجرداء في أماكن، والخضرة المستأثر بها الجنسان في أماكن أخرى.

انتهت

تذييل

ليست العربية – منذ الآن – إلا لغة الجيم/ وليست الجيم إلا جماع أجروميتها.

(الجيم ترجح):

(الجيم تاج الأبجدية
وهي جوهرة الهجاء..
جمانة اللهجات
أو مرجانة الحاجات
أجرومية الهزج
ارتجال جُر بالمجتث..
هجهجة الرجز!)

حتى يبلغ:

(فالجيم تجربة التجاوز والتجدد
الجيم تزويج البنفسج للزبرجد

الجيم عسجد
والجيم جاهزة لتسجد).
وفي مقطعها الثاني (الجيم تنجح) يقول أحد المقاطع:
(جيماتكم منجاتكم
فتجهزوا لنجاتكم
من جائحات جناتكم
جيماتكم جِنّاتكم وجَنَاتُكم
جيماتكم مرجاتكم خلجاتكم حجراتكم
جيماتكم جاماتكم جرّاتكم جداتكم زوجاتكم
فاحرنجموا بين الحِراج..
وهجّنوا جيناتكم!).

الشاعر العربي المصري حسن طلب

(واسمي، إن أخطأت لفْظ اسمي
بخمسة أحْرف أفقيَّةِ التكوين لي:
ميم
المتيِّم والميتُّم والمتمِّم ما مضي،
حاء

الحديقة والحبيبة، حيرتانِ وحسرتان،
ميم
المغامِر والمعدُّ المسْتعدُّ لموته،
الموعود منفيًّا ، مريض المشْتهي
واو
الوداع، الوردة الوسطي،
ولاء للولادة أينما وجدتْ، ووعْد الوالدين
دال
الدليل، الدرب، دمعة دارةٍ درستْ، ودوريٌّ يدلُّلني ويدْميني
وهذا الاسم لي).

الشاعر العربي العالمي محمود درويش

هوامش

(1) الكلاليق: جمع كليقة، وهي حزمة من القصب في العامية السودانية.
(2) النال: من النباتات التي تنمو بريا في السودان بكثافة يستخدم في المناطق الريفية بالسودان في بناء المنازل؛ كما يستخدم كعلاج بلدي لآلام الكلى وسوء الهضم.
(3) الإنقاية: وحدة قياس جزء من مساحة أرض المزرعة (الحواشة بالعامية السودانية)، وعادة ما تكون أقل من فدان.
(4) بلاد: بالعرف السوداني هي المزارع الشاسعة التي تروى مطريا.
(5) التُّرَع وأب عشارين: الترعة هي قناة الري الكبيرة في مشاريع الزراعة الحوضية في السودان، وتتفرع منها قنوات صغيرة تعرف الواحدة منها بـ«أبوعشرين».
(6) الجدول هو قناة الري الصغيرة التي تروي الإنقاية. أما التقنت، وجمعه تقانت بالعامية السودانية، فهو السد الترابي الذي يفصل بين الإنقايات داخل الحواشة. (انظر (3) أعلاه).
(7) الوَرَتاب البُتّاب: الورتاب هو أوراق القصب الجاف والبُتّاب: ما يتخلف من هريس قناديل الذرة بعد دقه لفصل حبوب الذرة.
(8) المشلعيب: سلة من أربعة حبال يوضع فيها الطعام لحفظه، وتعلق

في سقف البيت. أما الراكوبة فهي مظلة من القش أو القصب أو جريد النخيل، قائمة على أعواد، تنصب في البيت السوداني، لمقيل الأسرة نهارا. والكراكيب: العفش الكثير.

(9) الدَرَتْ: موسم الحصاد، حصاد الذرة الرفيعة، غذاء غالب أهل السودان.

(10) حُسُوّة: مشروب مَحَلِّي مسكر يصنع من الذرة الرفيعة.

(11) مقتبس من قصيدة للشاعر السوداني صلاح أحمد إبراهيم يصف فيها النيل والتي تغنى بها الأستاذ محمد وردي (أغنية الطير المهاجر).

(12) دبايوا وسنو ولاهيا ومسكاقمي هي التحية بلغات (البداويت البجا)، الهوسا والنوبة على التوالي في السودان.

(13) المولية: نوع من الخضار السوداني الذي ينمو بريًا، مُرّ المذاق يتم فرمه وشطفه بالماء عدة مرات، حتى يزول طعمه المُرّ، ثم تصنع منه سلطة تؤكل بالفول السوداني. وهي سلطة شهية.

(14) الحريرة: جدلة من الحرير، يلبسونها للعريس على يده، ويربطون بها أيضاً، هلالاً من الذهب على جبينه.

(15) الضريرة: نوع من العطور الناشفة توضع على رأس العريس.

(16) ترد في الراوية الكثير من أسماء القرى والمدن السودانية، وعمد الكاتب إلى إدراجها كلها بتواتر، للتأكيد على جيم الجراد؛ ولا نعتقد أن ذلك يخل بالسياق العام. إذ يمكن التغاضي عنها واعتبارها مجرد نغمات تكرر صوت الجيم.

سيمفونية الجراد

إهداء 3
مقدمات 5
جريرة: 9
جرير 16
جرداق 27
جرداق وجريرة: 41
جرداق: 49
وليمة المولية 55
جارد الحازم 60
جُركُمْ 64
جهبوذ 68
عقيدة الجيم 71
جمدان 74
السرب: 76
عاصفة السرب: 80
تذييل 91
هوامش 94